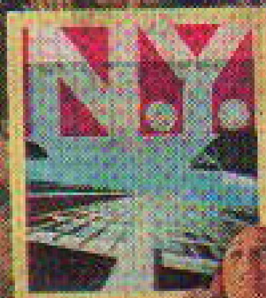
القديس في نيويورك



www.liilas.com
florist

عن الكاتب الانجليزي ليسلي شارتريس ترجمة : صادق راشد

القديس في نيويورك

الكاتب الانجليزي : ليسلي تشارتريس
ترجمة : صادق راشد

مقدمة

ارسل الخطاب فى اول الامر الى السكرتير كما تقضى بذلك النظم واللوائح .. ثم حول الى مكتب تحقيق الشخصية ومنه الى مكتب الابحاث الجنائية ومنه الى العامة . واخيرا استقر به المطاف بين يدى ارثر كيترم المدير العام للبوليس .

وهذا الخطاب وثيقة خطيرة يلذ للمرء الاطلاع عليها على الرغم من ان كاتبها هو المفتش تيل الذى لا يجيد الا الاساليب المفككة الركيكة .

وهذا نص الخطاب :-

« من ادارة سكوتلانديارد بلندن » .

الى مدير بوليس مدينة نيويورك »

« سيدى العزيز

« يجب ان نخطرك بان لدينا من الاسباب ما يحملنا على الاعتقاد بان سيمون تمبلار المعروف باسم القديس رحل عن هذه البلاد وانه موجود فى الولايات المتحدة فى الوقت الحاضر .

« ونرفق على هذا صورة فوتوغرافية له وبيانا باوصافه وسوابقه اما بصمات اصابعه فلم يتيسر لنا الحصول عليها حتى الان .

« وسيتضح لك من الاطلاع على قائمة السوابق المرفقة بهذا انه يجدر بك - مراعاة لمصلحتك - بان تراقب حركاته وسكناته اذا امكنك الاهتداء اليه .

« المخلص »

« و . تيل »

(الكبير مفتشى البوليس السرى »

وهذا نص الاوصاف المرفقة بالخطاب :

سيمون تميلار (معروف بهذا الاسم اما اسمه الحقيقى فمجهول ويلقب بالقديس)

« العمر : غير معروف على وجه التحديد ـ الطول ست اقدام وبوصتان ـ الوزن ١٧٥ رطل ـ العينان زرقاوان ـ الشعر اسود ـ البشرة اميل الى السمرة ـ بكتفه الايسر ندب نتيجة لطلق نارى » ..

« ميوله وطباعه : حسن الهندام محب للاناقة ذو ذوق ممتاز ـ مولع بالترف والرفاهية ولا ينزل الا افخم الفنادق ـ خبير فى قذف المدى واصابة الهدف ـ طيار بارع ـ يتكلم عدة لغات بطلاقة تامة »

اما قائمة السوابق فكان هذا نصها :

« له فى فرنسا تاريخ قديم لا مجال للدخول فى تفصيلاته . وقد ظهر فى انجلترا مرات عديدة ولكننا عرفناه للمرة الاولى منذ خمس سنوات فى حادث السطو على بنك شيكاغو اذ تقدم الينا وتعهد بان يقتفى اثر اللصوص فقبلنا اقتراحه وقد نجح فعلا فى استرداد المال المسروق ولكنه استولى على عشره على سبيل المكافأة واعاد الى البنك التسعة الاعشار .

« وبعد زمن وجيز ساقته مغامراته الى حرب عوان مع المجرمين والقتلة . وكان سببا فى القبض على كثيرين من زعماء العصابات ومهربى المخدرات وتجـار الرقيق الابيض ومنافسيه فى ميدان الاحتيال .

واستمر نشاطه الى ان غادر انجلترا منذ ستة شهور »

« وهناك مسألة اخرى مؤكدة وهى ان سيمون تمبلار كان يخرج من جميع مغامراته بغنائم مالية لا يستهان بها حتى ليقال بان له فى البنوك رصيدا لا يقل عن نصف مليون جنيه » .

وتناول مدير البوليس الصورة الفوتوغرافية المرفقة بالخطاب فجعل يتأملها برهة ثم مضى يقرأ الخطاب للمرة الثانية وهو يهرش رأسه مفكرا .

وكان وجهه متجعدا كثير الغضون .

وكانت هذه التجعدات هى الجزاء الوحيد الذى ظفر به من وراء جهاده الطويل ضد الجريمة والمجرمين فى خلال الاربعين سنة الماضية وهو عهد كان فيه المجـرمون اصدقاء لاعداء المجرمين . عهد كان فيه حماة القانون يمشون متأبطين ذراع اعداء القانون .. !

ولما فرغ مدير البوليس من تلاوة الخطاب للمرة الثانية التفت الى جليسه وقال :

ـ وهل تعتقد ان لذلك علاقة بالخطاب الذى تلقاه اربول ؟ .

فأزاح المفتش فرناك قبعته الى الوراء وانحنى رأسه فى حركة سريعة مقتضبة . ثم اومأ باصبعه الى ورقة أخرى موضوعه على مكتب مدير البوليس وقال :

ـ انى ارجح ذلك .. الم يقل مفتش سكوتلانديارد ان هذا الرجل .. ما اسمه .. ؟ آه .. سيمون تمبلار .
ان فى بعض اطوار حياته حربا على الجريمة والمجرمين .. ؟ انى لا يخالجنى الشك فى انه صاحب تلك الرسالة التى وصلت اربول :

فقال مدير البوليس متسائلا :

ـ والى اى مرحلة بلغنا فى قضية اربول .

فاجاب المفتش فرناك فى لهجة تدل على الحنق :

ـ الى لا شيء .. ستنظر قضيته بعد ظهر اليوم امام محكمة الجنايات .. ولكن ما هى النتيجة .. ؟ التأجيل طبعا كالعادة » .

واطلق فرناك من فمه بصقة كبيرة دلالة على غيظه .. وكان يقصد طبعا ان يجعلها تستقر فى المبصقة ولكنه اخطأ الهدف فسقطت على السجادة النفيسة .

واستطرد المفتش قائلا :

ـ انك لاتجهل مايحدث فى هذه الاحوال .. انى لم اقم بعمل احصائية فانى ضعيف فى الحساب كما تعلم ولكننى على يقين من ان هذه المرة الثلاثون التى اجلت فيها هذه القضية .. نعم فكلما مثل اربول امام المحكمة استطاع ان يظفر من القاضى بتاجيل قضيته .. فاذا تذكرنا انه قد مضت سنتان على مقتل انسكى فهناك امل فى ان يرى احفادنا اليوم الذى يصدر فيه الحكم .. هذا اذا ظل اربول على قيد الحياة ولم تقض عليه الشيخوخة وكبر السن

وللمرة الثانية بصق فرناك .. وللمرة الثانية اخطأ الهدف ! .

ومال فرناك .. الى مكتب رئيسه ووضع فوقه قبضته الضخمة ونظر الى كيتروم بعينين تبرقان كأنهما جمرتان من النار وصاح قائلا فى صوت اجش :

ـ لقد مر بى زمن تمنيت لو كان فى نيويورك رجل من طراز سيمون تمبلار يقوم بمثل هذه الاعمال التى يشير اليها هذا الخطاب .. بل لقد خطر لى فى بعض الاحيان ان اقوم انا نفسى بهذا العمل فاريح هذه البلاد من شر هذه العصابات بقتل زعمائها اعداء الانسانية الالداء . لو كان عندنا رجل مثل سيمون تمبلار لما قامت للجريمة الوحشية قائمة فى هذه المدينة .

كان انسكى زميلا لى عندما كنت ضابطا فى فرقة البوليس قبل ان انتقل الى قسم الابحاث السرية . ولقد

عرفته شرطيا جسورا لايهاب الخطر .. وانت تعرف طبعا ما اعنى فقد كنت انت نفسك من رجال الشرطة التى يعانيها الشرط وكابدت ما يكابدون وقاسيت ما يقاسون .. فاذا قلت لك ان انسكى كان جسورا فلا شك انك تفهمنى حق الفهم .

وكان فرناك يشد قبضته على حافة المكتب وهو يلقى بهذه الكلمات لفرط انفعاله .

ثم استطرد قائلا :

ـ نعم .. كان انسكى جسورا .. من المحتمل انه لم يكن ذكيا ولكنه كان جسورا . انه ليقذف بنفسه وسط المعمعة دون ان ينبض فى صدره عرق بالخوف .. ففى الوقت الذى يتوارى فيه رجال الشرطة جبنا يتقدم انسكى الى الميدان بلا رهبة او وجل .. واخيرا يأتى هذا الفأر الحقير اربول فيطلق عليه النار ويرديه قتيلا .. !

ولزم كيتروم الصمت دون ان يجيب بكلمة واحدة بل لقد كان جامدا على مقعده كأنه صخرة لا تتحرك . ولكن عينيه كانتا مستقرتين على وجه ذلك الرجل الغاضب الحانق الجالس امامه .. كان ينظر اليه فى عطف وشفقة لان كل جارحة من جوارحه كانت تصرخ وتنادى بأن المفتش فرناك على حق فيما يقول .

وتابع فرناك حديثه بقوله :

ـ ونقبض على اربول .. والدنيا بأسرها تعرف انه هو القاتل .. ولكن ما الفائدة ..؟ لقد استطعنا ان نجبره على الاعتراف بما فعل .. ولكن اية قيمة لهذا الاعتراف فى نظر القانون .. او بعبارة اخرى فى نظر هؤلاء القضاة المرتشين الخربى الذمة الذين يصدرون احكامهم باسم العصابات لا باسم العدالة .. فالقصاص الوحيد

الذى نزل باربول هو ما ناله منا من تعذيب .. لقد ضربناه حقيقة ضربا عنيفا مبرحا بهراوة من المطاط لا تترك اثرا . ولكن الهراوة لا يمكن ان تكون معادلة لرصاصة تزهق الروح .. رصاصة اربول قتلت انسكى .. ولكن هراوتنا لا يمكن ان تقتل اربول .. هراوتنا لن تجعله يتلوى الما ويعض الارض بفم تتدفق منه الدماء .. هراوتنا لن تجعله يترك وراءه زوجة لا عائل لها واطفالا مساكين ينادون اباهم فلا يلبى النداء .. وبالاختصار هراوتنا لن تقتل .. ! ولكنها افادت بان جعلتنا ننتزع منه اعترافا بجريمته فما الذى حدث بعد ذلك ؟

هذا الاعتراف كفيل بان يجعل القاضى يصدر على القاتل حكما بالاعدام .. فهل اصدر القاضى هذا الحكم ؟. كلا.. ولماذا ؟ . لان هناك رجلا سياسيا يبسط نفوذه على هذا القاضى .. وهذا السياسى لم يفز بمقعده فى البرلمان الا بمساعدة نفر من رجال العصابات الذين يرهبون الناخبين يهددونهم حتى يعطوا اصواتهم لمرشح دون آخر ... والسياسى هو الذى ينتخب القاضى ويعينه .. فالمسألة حلقة مفزعة .. العصابات تعين النائب .. والنائب يعين القاضى .. والقاضى هو الذى يحاكم العصابات .. فهل تنتظر بعد هذا ان يصدر حكما بالاعدام .. ؟ انه مضطر ان يرضى السياسى الذى عينه .. والسياسى مضطر ان يرضى العصابة التى ساعدته .. ونتيجة هذا الارضاء براءة المتهم وذهاب دم القتيل هدرا ..

ولو كان الامر قاصرا على السياسى الذى يامر القاضى لهان الخطب . ولكن هناك ذلك المحامى الذى يتقدم الى

المحكمة بآلاف من الحيل والخدع وادلة النفى الملفقة .. وهناك المحاكمات الصورية المضحكة التى يقوم بها قاض مرتش خرب الذمة ومحلفون مرتشون او مهددون .. ووكيل نيابة يتناول من العصابة مرتبا اضعاف المرتب الذى يتقاضاه من منصبه .. وهناك التأجيلات والافراج بالضمان والطعون والنقض والتماس العفو .. وكل هذه الالاعيب التى وضعها القانون خدمة للعدالة فكانت حربا على العدالة .. ! فما الذى تنتظره بعد هذا ؟ . اتمكن ان تكون السيادة للقانون والاحوال على ما ترى ! .

هذا هو اربول .. لقد قدمناه الى المحاكمة ولكنهم اجلوا قضيته مرة بعد مرة .. وشهرا بعد شهر .. حتى يصبح الناس وقد نسوا ان هناك شرطيا يدعى انسكى قتل غدرا .. وان هناك مجرما يدعى اربول هو الذى قتله .

واخيرا يطلقون سراحه ويبرئونه من التهمة التى تعلم الدنيا باسرها انه هو مرتكبها .. !

وهبهم ارسلوه الى السجن . فهل يضيره السجن ! .

انه يعيش فى داخل السجن خيرا مما كان يعيش فى خارجه .. يباح له التدخين .. والاصغاء الى الراديو .. ومقابلة الاصدقاء والاعوان .. وتمضية الوقت فى القراءة ولعب القمار .. وبعد بضعة شهور يامر محافظ السجن بالافراج عنه بحجة انه كان حسن السير والسلوك .. !

فاذا اعوزتهم هذه الحجة احضروه امام « لجنة الشرف » فتربت اللجنة على كتفه فى رفق وعطف وتقول له :

ـ هل تقسم يابنى بان تكون ولدا طيبا مطيعا .. ؟

ـ نعم اقسم .

ـ اذن ‥ عد الى بيتك « ياشاطر » وكن ولدا عاقلا ولا تغضب ، ماما »! ٠

وهكذا تنفتح أبواب السجن لتخرج الى العالم وحشا فى صورة انسان ٠

ولا تكاد تمضى على خروجه بضعة أيام حتى ينهال الرصاص على شرطى آخر وتتدحرج جثته الى بالوعة القاذورات دون ان يحفل احد بالدم المراق ‥ ! وهكذا يهوى رجال الشرطة واحدا بعد الاخر دون ان يعبأ بهم انسان كأنهم فيران حقيرة لا ذكر لها ولا أهمية ! ٠

وكان المفتش فرناك يلقى هذا الخطاب بلهجة حماسية وصوت متهدج اجتمعت فى نبراته آلام السنين الماضية ٠ وكيتروم ينصت اليه دون أن يقاطعه بكلمة واحدة ٠

ولم يكن هناك فى الواقع ما يدعوه الى المقاطعة فما نطق فرناك الا بالحقيقة وماكانت كلماته الا اصدق تعبير عن الحالة التى انحدرت اليها العدالة فى تلك البلاد ٠

ونظر فرناك الى الصورة الموضوعة على المكتب وقال:

ـ لقد ارسل هذا الرجل المدعو سيمون تمبلار خطابا الى اربول يقول له فيه :« اذا افلت من عدالة المحكمة فلن تفلت من عدالتى ‥ ان القصاص سيلحقك حيثما كنت ‥ فاذا برأتك المحكمة وخرجت الى الطريق تبتسم وتزهو فى وسط اصحابك فلن تصل الى بيتك ‥ ستكون هذه اخر مرة تزهو وتبتسم فيها ‥ ان شعارى : سن بسن وعين بعين ٠ ونفس بنفس ‥ قتلت انسكى فيجب ان تقتل ‥ فاذا قصرت المحكمة فى تأدية رسالة العدالة فانى لن اقصر ! » ٠

وسكت فرناك برهة ثم استطرد قائلا :

ـ واذا صح ما ذكره المفتش تيل فى خطابه فانى أعتقد أن سيمون تمبلار لن يتردد فى تنفيذ وعيده ‥ وصدقنى انى لن الومه فانى انا نفسى أفكر فى أن الحل الوحيد هو أن أتولى بيدى قتل اربول واقامة العدالة التى يخنقها أولئك الرجال المفروض فيهم أن يكونوا خداما للعدالة ٠ !

ولكن ما الذى سيحدث اذا قتل سيمون هذا الشقى اربول ؟ ستقوم الدنيا وتقعد ‥ وستنادى الصحف بالويل والثبور ‥ وسيصرخ أعضاء البرلمان الذين عينتهم العصابات منادين بضرورة القبض على القاتل ‥ وسيذكرون عند ذلك ـ وعند ذلك فقط ـ أن هناك دما أريق ٠ !

وان ذاك تصبح مهمتى هى مطاردة سيمون تمبلار ومحاولة القبض عليه فهل هناك مهزلة هى أكبر من هذه ! أقبض على الرجل الذى اعتقد أنه لم يفعل الا الواجب ! أقدم الى القضاء الرجل الذى فعل ما كان يجب أن افعله انا ‥ او انت ‥ او اى رجل له ضمير حر شريف فى هذه البلاد ! لعمرى انى لافضل أن أنطلق فى الطرقات شريدا جائعا فقيرا عن ان اضع يدا على سيمون تمبلار

وكان المفتش فرناك يرتعد لفرط انفعاله والكلمات تتدفق من فمه كالسيل ٠

فلما سكت نظر اليه مدير البوليس فى هدوء ثم تكلم للمرة الاولى بعد ذلك الصمت الطويل فقال :

ـ فرناك ‥ يجب أن تؤدى واجبك ‥ الواجب قبل كل شىء ‥ فصاح فرناك قائلا :

ـ نعم ‥ سأؤدى واجبى . كما اديته من قبل ‥ كما اديته فى خلال تلك السنوات الطويلة الماضية ٠ أكنس الارض ‥ واجمع القمامة ‥ واقدمها اليوم

ليحرقوها .. فلا يكون منهم الا ان ينثروها ثانية على الارض .

وتناول كيتروم الاوراق الموضوعة امامه وجعل ينظر فيها . وساد الغرفة سكون شامل جعلت كلمات فرناك في خلاله تتجاوب وتدوى وترعد حتى لكانها وشيكة بان تهز المقاعد وتحطم النوافذ .

واخرج فرناك منديله من جيبه فمسح به جبينه الذي كان يتصبب عرقا . وارسل بصره الى الطريق منصتا الى جلبة المركبات ودوى السيارات وغوغاء السابلة .. وقد خيل اليه أن هذه الضجة انما هي صدى تلك الثورة العاتية التي اصطخبت في أعماق نفسه .

وسعل كيتروم .. وقطع حبل السكون بقوله :

ـ الم تعثر بعد على سيمون تمبلار ؟

وكان صوته هادئا لطيفا وخاليا من اية لهجة تنم عن اللوم أو التقريع .

فأجابه فرناك في اقتضاب :

ـ كلا .. لقد عهدت الى كيترى وبوناشي بالبحث عنه . وقد طافا بالامس بأغلب الفنادق الكبيرة .

واحنى كيتروم رأسه وقال :

ـ اذا أسفرت تحرياتك عن نتيجة فانبئني .

ونهض فرناك واقفا ومشى الى الباب منصرفا .

وفي منتصف الساعة الرابعة ارسلوا في استدعائه ليتولى التحقيق في مقتل جاك اربول .

اذن فقد بدأ سيمون تمبلار يعمل .. !

الفصل الاول

دخلت الراهبة الى الجناح الذي يشغل الطابق الاعلى من فندق استوريا باستعمالها مفتاحا اخرجته من تحت طيات ثوبها الاسود السابغ مما جعلها تحسره عن ساقيها ـ وقد يبدو هذا العمل لاكثر الناس تساهلا غريبا الى حد ما .

ولما أوصدت الباب خلفها أخذت تصفر ـ وهذا العمل ايضا يبدو اكثر غرابة من سابقه في نظر اشد الناس تساهلا .

ولما عبرت قاعة الاستقبال تعثرت في السجادة فتمتمت تقول: «اللعنة ..» في صوت خشن لا يليق الا بالرجال ـ وهذا العمل منها كفيل بلا شك بأن يثير اشد الناس تساهلا الى درجة تجعله يحملق مذهولا .

ولكن الرجل الذي كان جالسا في القاعة لم يحملق ولم تبد في وجهه امارات الذهول وانما رفع عينيه عن الكتاب الذي كان يطالع فيه ونظر الى الراهبة باسما ..

وكان هذا الرجل طويل القامة عريض المنكبين وخط المشيب رأسه وفي الغضون المنتشرة في وجهه ما ينم عن الالم والحزن وطول المقاساة .

وتكلم الشيخ قائلا :

ـ كيف الحال .. ؟

فأجابته الراهبة بقولها :

ـ على ما يرام .

ثم نزعت الوشاح الاسود الذي يغطي رأسها واخذت تفك أزرار ثيابها ثم خلعتها دفعة واحدة والقت بها على الاريكة وهي تتنفس الصعداء .

ولكن الشيء الغريب أن هذه الراهبة انقلبت في غمضة

عين فاذا هي رجل مديد القامة مفتول العضلات في عينيه مرح ودعابة وفي ابتسامته تهكم وسخرية وفي ملامحه ما يدل على ارادة من حديد !

وارتمى الرجل على أحد المقاعد وبسط ساقية أمامه فقال له الشيخ العجوز :

– لقد جازفت بحياتك ياسيمون مجازفة خطيرة ·

فضحك القديس ضحكة رقيقة وقال وهو يشعل سيجارته :

– ان حب المجازفة ياعزيزي بيل يجري في عروقي مجرى الدماء ·· وما يمر يوم الا قذفت بنفسي في مغامرة جديدة حتى لقد أصبحت المغامرات عندي شيئا عاديا أشبه بتناول الطعام فلا تثير في اهتماما ·

فهز الاخر رأسه وقال ناصحا :

– ولكن كان ينبغي أن لا تضاعف الخطر بتنبيه الاذهان الى ما تنوى ·

– أتقصد هذا الانذار الذي أرسلته الى اربول ··؟ تلك هي عادتي ياصديقي ·· لا اقدم على عمل الا انذرت خصمي باليوم والساعة والدقيقة حتى يتخذ الاهبة لاستقبالي ·· فلو لم انذر اربول لشوهت بذلك سمعتي ولقال الناس : ان القديس اقدم على فعلته دون ان يرسل الانذار المعهود خوفا وجبنا ·· فهل ترضى أن يقال انني جبان رعديد !

كلا ·· كلا ان سيمون لا يخاف ولا يرهب حتى رجال العصابات المدججين بالمسدسات والمدافع الرشاشة ·· ان القديس هو القديس سواء كان في فرنسا أو انجلترا أو أمريكا ·· !

وضحك تمبلار مرة أخرى وكانت ضحكته رنانة طليقة

تدل على أن صاحبها يحمل بين جنبيه قلبا خاليا من الهموم ·

واستطرد سيمون قائلا :

– وهذا هو ما دعاني الى ان ارسل انذاري الى اربول ·· لست انكر ان هذا الانذار زاد الموقف دقة وصعوبة ولكنه هيأ لي فرصة أظهر فيها تكتكتي ونبوغي ·· ولقد كان الامر سهلا بل اسهل مما كنت أتوقع ·· كان مسدسي مخبأ تحت طيات ثيابي ·· تحت هذه العباءة البديعة التي تلبسها الراهبات لخدمة الدين فلبستها أنا لخدمة العدالة ·· وعندما رأيت اربول خارجا من دار المحكمة مزهوا مبتسما لانها أبرأت ساحته اطلقت عليه النار ·· وكانت رصاصة واحدة ولكنها كانت كافية لان القديس لا يخطيء الهدف ·· وفي اللحظة التي دوى فيها الطلق الناري انطلقت أجري ·· ولكنني لم أجر هاربا وانما جريت صوب القتيل وانحنيت فوقه وانا أرسم علامة الصليب على صدره وجعلت أحثه على أن يعترف بذنوبه ليغفرها الله له ·· والناس ينظرون الى حامدين الاقدار التي قيضت للمصاب راهبة يعترف على يديها قبل أن يلفظ النفس الاخير ! وفي اللحظة التي كنت جاثيا فيها الى جوار القتيل كان رجال البوليس ورجال العصابة يبحثون عن القاتل وينظرون الى كل من في المكان نظرات شذراء فاحصة · ولكن احدا منهم لم يفكر في أن يلقي نظرة واحدة الى الراهبة المقدسة الطاهرة ··!

وضحك الكهل وقال :

– انك نابغة ··!

واخرج تمبلار مسدسه من جيبه وجعل ينظف ماسورته

مما بها من أثر البارود المحترق .

وساد الصمت برهة ثم قال القديس :

- انك تعرف طبعا يا عزيزى بيل انى رجل لا أسفك الدماء .. وعلى كثرة الجرائم التى ارتكبتها لم ألوث يدى بقطرة واحدة من الدم . أما الان فالامر مختلف جدا .. كان من عادتى أن أجمع الادلة ضد القتلة ثم أسلمهم للعدالة تقتص منهم . ولكن هذه الخطة لن تجرى فى هذه البلاد فان لبعض قضاتكم ذمما مطاطة فالمجرم يقدم اليهم والدليل ثابت عليه ولكنهم يفرجون عنه لاسباب انت ادرى بها منى .. فالعدالة فى هذه البلاد مهيضة الجناح مهشمة الساق .. وقد جئت لكى اكون سيفها المصلت وخادمها الامين .. فرجل العصابات الذى لا تدينه المحاكم ولا تقتص منه لن يفلت من قصاصى أنا .. وانه لقصاص العدالة الحقة !

وسكت تمبلار ثم استرسل قائلا :

- انى رجل لم أعتد أن أسفك دما .. ولكن قتلى اربول وأمثال اربول لا يمكن أن يعد جريمة .. انهم يطغون ويعيثون فى البلاد فسادا فيطلقون النار ذات اليمين وذات الشمال ويختطفون الاطفال الابرياء ليقتلونهم دون رحمة او شفقة . فهل اعد مجرما اذا قتلت أنا هؤلاء الرجال ؟ لاسيما اذا ذكرنا انهم دائما يفلتون من القانون .

فقال بيل مؤيدا :

- لو اننى كنت قاضيا لاطلقت سراحك ولأمرت باقامة تمثال تمجيدا لك .. ان العدالة فى هذه البلاد كما تقول أنت فى حاجة الى من ينفذها .

ومشى الشيخ العجوز الى النافذة ووقف ينظر منها الى

الطريق وقد عقد يديه خلف ظهره . والتفت فجأة الى تمبلار وقال :

- لقد حضر الى هنا اليوم كيترى وبوناشى .

واستمر تمبلار يصفر بضع لحظات ثم تمتم قائلا :

- يؤسفنى انى لم أكن حاضرا لاستقبلهما . فانى متلهف الى مقابلة بعض رجال البوليس الامريكى لارى ان كانت الحقيقة منطبقة على ما أشهده فى الافلام السينمية .

فابتسم بيل وقال :

- ان الفرصة لن تفوتك على أى الاحوال لانهم الان يسعون فى اثرك .

واذا كان كيترى وبوناشى قد اخفقا فى الاهتداء الى مقر سيمون تمبلار فليس يرجع ذلك الى غباوتهما وسوء تصرفهما . وانما الى الحيلة التى لجأ اليها تمبلار ليخدع الباحثين عنه .

لقد مضى الشرطيان يتنقلان بين الفنادق المختلفة والبنسيونات المنتشرة فى أنحاء المدينة . مشيا حتى كلت منهما الاقدام وفحصا أسماء النزلاء حتى تورمت منهما العيون .. وفكرا حتى ركد منهما الذهن . ومع ذلك لم يسفر هذا البحث الشاق الطويل عن اية نتيجة . الا اضطرارهما الى شراء أحذية جديدة .

وأخيرا خطر لهما أن يلجأ فى البحث الى طريقة أخرى فمضيا يسألان كتبة الفنادق وخدم المطاعم عما اذا كانوا قد رأوا رجلا أزرق العينين أسود الشعر طوله ست أقدام وبوصتان . ووزنه ١٧٥ رطلا . وبكتفه الايسر ندب قديم .!

كما جاء فى الاوصاف الواردة من ادارة سكوتلانديارد .!

ولكنهما غفلا عن الشيء الوحيد الذى كان ينبغى عليهما ان يعلماه وهو ان يسألا مستر ويليام فالكروس المقيم بفندق استوريا عن منافقه الجديد وأن يتحريا عن شخصيته .

وقال تمبلار :

ـ لو ان رجال البوليس عثروا على لجرى بيننا حديث ودى وأنت تعلم انى لا احب الاحاديث الودية .

وأخذ يقلب بين يديه مسدسه الذى كان لا يزال ماضيا فى تنظيفه ثم رده الى جيبه ومشى الى النافذة ووقف الى جوار صاحبه ويليام بيل فالكروس .

التى تنطح السحب الكؤش .

وكانت المدينة منبسطة امامهما بعماراتها الشاهقة التى تنطح السحب وابراجها العالية التى شقت طريقها فى الجو كأنما تريد أن تبلغ السماء .

فهناك على مرمى البصر كانت تقوم تلال جرداء لا حياة فيها ولكن الارض ضاقت بالانسان فاحال التل المجدب مدينة عامرة بالحياة وبالناس ..

ولم يقنع بهذا بل أطلق ابنيته فى الهواء كأنما يزاحم الطيور فى أجوائها .

وتنهد فالكروس وقال فى صوت فيه نبرة رقيقة عطوف :

ـ لقد كنت أقيم هناك . !

ثم هز كتفيه فى غير اكتراث وقال :

ـ هناك كثيرون يقولون ان نيويورك مدينة لا رواء لها لا تلبث النفس أن تمجها . ولكننى أؤكد لك انى أحبها وأحب تلك الايام التى أمضيتها فيها قبل أن أضطر الى الرحيل عن بيتى والاقامة فى الفنادق .

ولم يقل تمبلار شيئا .

كان فالكروس مسالما متوجعا لانه رحل عن بيته واقام فى فندق لا يبعد عن هذا البيت اكثر من بضعة أميال . فماذا يكون من أمر تمبلار وبينه وبين داره ثلاثة آلاف من الاميال . !

واسترسل فالكروس قائلا :

ـ ولكنى لا أستطيع أن أعود الى بيتى الا اذا انتقمت لهذه الروح الطاهرة التى أزهقها هؤلاء الاشقياء . انى ما مشيت فى دارى خطوة واحدة الا انتصب أمامى وجه طفلى المحبوب وصاح بى : « أبى انتقم لى .. انتقم لى » ولهذا أرسلت اليك .

وتنهد فالكروس ثم استتلى قائلا :

ـ نعم . كان يجب أن ألجأ اليك لان أعدائى أقوى منى . انى رجل عجوز طاعن فى السن ولا قبل لى بالقتال . أما أنت فما تزال قويا نشطا .. فانتقم لى . بل انتقم لهذا الصغير المسكين الذى فتك به هؤلاء الوحوش .

ودار الشيخ على عقبيه فجأة ونظر الى تمبلار نظرة طويلة حالمة .

وكان تمبلار واقفا أمامه فى ثوبه الانيق المنسجم على بدنه وسيجارته بين شفتيه فى وضع جذاب حتى ليخيل لمن يراه أنه من أولئك الذين لا هم لهم الا غزو قلوب النساء والشيء الوحيد الذى كان ينقض هذه الصورة انما هو ذلك الوميض المنبعث من عينيه وتلك الابتسامة التهكمية التى تتألق على شفتيه . وتلك النظرة المتحدية الحافلة بالنضال .

وكان فالكروس يعرف تمبلار حق المعرفة ويعرف أنه

الرجل الوحيد الذى يصلح للقيام بهذه المهمة .

ووضع الشيخ يديه على عاتق تمبلار وقال فى ثقة وايمان :

ـ نعم .. يجب ان تنتقم لى .. يجب ان تنظف المدينة من هذه العصابات السوية التى لاتتحرج عن قتل الاطفال الابرياء . واعلم انك ان اخفقت فى هذا فلن ينجح احد سواك . ولكنى انصحك بان تلزم الحذر .. ان اعداءك جبابرة اقوياء . والمدافع الرشاشة هى السلاح الوحيد الذى يحاربون به خصومهم . ولقد رأيت من قبل حوادث كثيرة من هذا القبيل . لقد حاول قوم اكثر منك عددا واعز نفرا واشد نفوذا محاربة هذه العصابات فكانت النتيجة انهم قتلوا . قتلوا فى غمضة عين كانهم فيران حقيرة . فاحذر لنفسك يا بنى .

فابتسم تمبلار ولم يجب

ارتد تمبلار بذهنه الى شهور خلت . الى ذلك اليوم الذى قابل فيه فالكروس فى احد مطاعم مدينة مدريد .

لم تكن بين الرجلين معرفة سابقة ولكن الظروف العارضة جعلت تمبلار يقدم نفسه الى المليونير الامريكى تحت اسمه الحقيقى . ذلك أن المليونير انس اليه فى وحدته وحزنه . وتحدث اليه عن الاسباب التى حملته على التماس السلوى والعزاء فى الاسفار والسياحات . فتكلم عن طفله الصغير المحبوب وعن الساعات الحلوة التى كان يقضيها معه فى امريكا ثم تحدث عن الساعة الاليمة التى اختطفت فيها الطفل وعن الساعة الاشد ايلاما التى وجد فيها قتيلا .

وقال الشيخ فى صوت حزين :

ـ ولا داعى للدخول فى التفاصيل فان الذكرى اليمة قاسية .. ولكن يكفى ان اقول ان رجال البوليس قبضوا

على اثنين او ثلاثة حامت حولهم الشبهات . ولكنك لا تدرى الطريقة التى يجرى بها التحقيق والمحاكمات فى بلادنا . وحسبك أن تعلم ان التهمة لم تثبت على احد وأن القتلة المتوحشين انطلقوا فى الشوارع احرارا ليفكروا فى تدبير جريمة أخرى .

واسترسل الشيخ فى صوته المتهدج المفجع قائلا :

ـ ان فى بلادنا عصابات منظمة لا عمل لها الا اختطاف الاطفال واقتضاء الفدية عنهم .. كانت هذه العصابات تشتغل بتهريب الخمور ايام التحريم فلما صرنا فى عهد الاباحة تحول نشاطها الى الخطف .. ولهذه العصابات زعماء يضعون الخطط ولهؤلاء الزعماء اصدقاء من رجال السياسة يحمونهم من سطوة القانون .. فان هؤلاء السياسيين هم الذين يعينون قضاة محاكم الجنايات .. وهم الذين يعينون مديرى البوليس فمن تمرد منهم على رغبات السياسى الفى نفسه فى العام التالى مشردا فى الطريق وقد حل فى منصبه رجل آخر يعرف كيف يكون اداة طيعة فى ايدى السياسيين المجرمين .

ولم يكن هناك شك فى ان هؤلاء المتهمين هم المجرمون الحقيقيون الذين قتلوا طفلى .. لقد اكد لى ذلك المفتش فرناك واطلعنى على سوابقهم . ولكن لم يكن فى وسعه ان يفعل شيئا ازاء ما للقضاة الخربى الذمة من اساليب ملتوية يستمدونها من القانون نفسه لانقاذ اعداء القانون .. وتصور مبلغ المى حين رأيت رجال العصابات القتلة يخرجون من دار المحكمة احرارا مبرأين .. اقسم لك انى شعرت اذ ذاك برغبة ملحة فى ان اطلق النار عليهم ولو كان معى مسدسى لما احجمت لحظة واحدة .. !

ولما سمع تمبلار حديث الرجل . اخذته

الشـــفقة بـــه . واثارت استنكاره وغضبه تلك الجريمة النكـــراء التى ذهـــب ضحيتهـــا ذلك الطفل البـــرىء ووجد فضلا عن ذلك أن الفرصة سانحة لمقابلة الزعماء أعداء القانون فى العالم الجديد . وان الانتقام للطفل البرىء يصلح محكا لقوته ودهائه وأساليبه بالقياس الى أساليب رجال العصابات فى امريكا . فقدم نفسه الى المليونير باسمه الحقيقى . وصفته الحقيقية . وتطوع لخدمته ..

وكان مما قاله له المليونير :

ـ اننى سمعت عنك أشياء كثيرة .. لقد عجز القانون فى بلادنا عن الاقتصاص من هؤلاء المجرمين . فالرجل الوحيـــد الـــذى يســـتطيع ان يقتص منهم يجب أن يكون نظيرهم : خارجا على القانون .. وأنت هـــذا الرجل . !

ان لدى مالا كثيرا اضعه تحت تصرفك لاعينك على تحقيق مهمتك .. وبهذا المال تستطيع أن تشترى كل ما يمكن ان يشترى بالمال : الذمـــم .. والضمـــائر .. والأعوان .. ولكن شيئا واحدا هو الذى سيقصر المال دون شرائه وأعنى به الأمن والسلامة .. !

نعم .. لست أكتم عنك الأخطار التى تستهدف لها .. انك تعرض نفسك للسجن .. ولرصاص أعدائك .. ولكن يجب ان تعلـــم انى ســـانقدك مليون ريال اذا نجحت فى الاقتصاص من المجرمين الذين قتلوا طفلى المسكين ..



وهكذا جعل تمبلار يستعيد الى ذاكرته تفاصيل هذا الحديث الذى دار بينه وبين فالكروس فى مدينة مدريد .

وخيل اليه الان وهو واقف عند النافذة الى جوار

فالكروس مرسلا بصره الى مدينة نيويورك ان صوت ذلك الشيخ العجوز لا يزال يطن فى اذنيه بنبراته الحزينة المتهدجة .



لم تكن هذه أول مرة زار فيها تمبلار مدينة نيويورك اذ سبق له أن اقام فيها اياما طويلة على عهد تحريم الخمور .

وقد طرأت على المدينة منذ ذلك العهد البعيد تغيرات كثيرة لا حصر لها فزحفت الدور الى بقع كانت جرداء قاحلة . وقامت فى مواضع البيوت الواطئة عمارات شاهقة ترتفع الى عنان السماء حتى لقد كادت المدينة أن تستحيل شيئا جديدا يضل فيه الزائر .

ولكن تمبلار على الرغم من هذا استطاع أن يهتدى بسهولة الى كريس بلليني الذى يقع فى الشارع رقم ٤٥

ولو أن الذى قتل اربول واهاج عليه عصابات نيويورك شخص آخر غير تمبلار لتوارى واختفى عن العيون خلف جدران مقامة وأبواب موصدة وستائر مسدلة .. ولكن تمبلار لم يكن من هذا الطراز .. انه رجل لا يهاب الخطر ولا يهرب منه .. انه يعلم ان العالم السفلى يبحث عنه وأن رجال البوليس ينشدونه ولكنه مع ذلك ابى أن ينزوى فى داره وأن يقيم فى ركن مظلم لا تراه فيه الابصار .

انه يريد أن يأكل .. وهو يعلم أن كريس بلليني ابرع رجل فى شى اللحم على النار . فهل ترده هذه المخاطر عن الذهاب الى المطعم والتلذذ بأكله شهية لا يجد مثلها فى لندن . ؟! كلا .. سيذهب .. وسيأكل . ولو ضحى بحياته من أجل طبق من اللحم .. !

وهكذا سار تمبلار صوب المطعم وقبعته مائلة فوق رأسه فى زاوية تتحدى وتتهكم .. وعيناه تشعان بوميض

يهزأ ويسخر .. وسيجارته بين شفتيه فى وضع يوحى بأنه خلى القلب والبال .

ودق تمبلار جرس الباب ففتح بعد لحظات وظهر على عتبته ذلك الايطالى البدين الذى لم يبرع أحد فى شى اللحم مثله والذى يعرف كيف يجتذب عميلا ليتناول من يده قطعة من اللحم ولو دفع حياته ثمنا لها .

وقال سيمون تمبلار يخاطبه :

ـ كيف حالك يابلليني ..؟

ومرت لحظات والرجل لا يزال ناسيا هذا الزائر ثم أشرق ذهنه فجأة فهتف قائلا :

ـ يا الهى .. ! أهذا أنت .. ! أين كنت طوال هذه السنين الماضية ..؟

واشتبكت اليدان فى مصافحة حارة مخلصة بينما كانت جلبة الجالسين فى داخل المطعم وضحكاتهم تصل الى أذنى تمبلار ممتزجة برنين الشوك والملاعق .

واستطرد الايطالى قائلا :

ـ لماذا غبت عنا طويلا .. ؟ ولماذا لم تخطرنى بقدومك حتى أدعو « الاولاد » بالحضور ..؟

فقال تمبلار وهو يعلق قبعته على الشماعة :

ـ وهل « الاولاد » غائبون الليلة ..؟

ـ نعم يا مسيو تمبلار ولو انك اتصلت بى تليفونيا لدعوتهم لكى يرحبوا بالصديق القديم .

فهز تمبلار رأسه قائلا :

ـ انى مسرور لغيبتهم .. لو انهم كانوا حاضرين لما رحبوا بى .

فقطبت بلليني جبينه ثم قال معتذرا :

ـ انى آسف .. لقد نسيت ما حدث مما نكرته الصحف .. ولكن أعلم انك ستظل صديقى مدى الحياة

ولو ثار ضدى « الاولاد » ونقم على العالم السفلى ـ عالم المجرمين .

فشد تمبلار على يده بحرارة وهو يقول :

ـ شكرا لك .

وقاد بلليني زائره الى قاعة الطعام الصغيرة الوحيدة التى يفخر بها هذا المطعم . فاستوى على مقعد خشبى غير مريح ولكنه كان سعيدا بأن يلقى نفسه فى هذا المكان بعيدا عن الرسميات وبعيدا عن تقاليد الجرسونـــات المتكلفة .. هنا يستطيع أن يجلس كما يشاء .. وأن يمد ساقيه امامه وان يأكل اللحم فى وحشية اذا اراد دون ان يكون موضعا للانتقاد وهدفا للنظرات الشذراء .

وأقبل بلليني على زائره وقال يسأله :

ـ هل آتيك بقدح من خمرة الشيرى ..؟

فأحنى تمبلار رأسه وقال :

ـ وقطعة من لحمك الشهى .. لا أقصد لحمك أنت طبعا .. !!

فضحك بلليني وقال :

ـ ولو سألتنى قطعة من جسمى لما ضننت بها عليك .

ـ ولكنى لن أسألك لانـــى لا أحـــب اللحـــم العجوز .. !

ولما فرغ من طعامه بسط ساقيه وأشعل سيجارته وأخذ يدخن .

كان تمبلار سعيدا رخى البال .. ولم يكن نادما على شىء ولم يؤنبه ضميره على تلك الجريمة التى ارتكبها منذ ساعات . فلو أن أربول ارتد حيا لما تردد تمبلار لحظة واحدة فى أن يطلق عليه النار . ففى العالم جرائم يكون ارتكابها هو العدل بذاته .

وقتل أربول هو احدى هذه الجرائم العادلة .

ولكن اربول لم يكن هو الهدف الحقيقي الذى ينشده تمبلار فانه ليس فى الواقع الا نابا من الانياب · وما كان تمبلار ليقنع الا بالراس الكبير ·· قد يموت اربول عشرات من امثاله ولكن الراس يبقى ·· ويفرخ ··· وينبت انيابا جديدة · فالعلاج الوحيد هو بتر هذا الراس ·

عند ذلك يكون تمبلار قد انتقم للعدالة المهيضة الجناح ·· ويكون أيضا قد ظفر بالمليون دولار ·· !

ولمح تمبلار على مقعد قريب منه نسخة من جريدة « تلجرام » تركها صاحبها بعد أن فرغ منها · فتناولها والقى عليها نظرة سريعة فالفى نفسه علما من الاعلام يحتل اسمه الصدر · وأخذ الكاتب يطنب فى وصف ما حدث فى ذلك اليوم بجلسة محكمة الجنايات وكيف وقع ذلك الاعتداء الجرىء على اربول على الرغم من وجوده فى نفر من اصحابه المدججين بالسلاح ..!

وعلى حين فجأة قطب تمبلار جبينه واختفت من ملامحه أمارات الدعابة والمرح والتمعت عيناه بوميض نفاذ كانه حد الحسام ·

حين فرغ من اربول ظل يسأل نفسه عن الخطوة التالية التى ينبغى ان يتخذها ·· انه لا يستطيع أن يظل فى مكانه مكتوف اليدين اذ لابد له أن يعمل ·ولكن ما هو الميدان الذى سيوجه اليه نشاطه ؟

وقد جاء الجواب من ذلك المقال الذى قرأه فى صحيفة « تلجرام » ·

نعم ·· من هنا يجب أن يبدأ ·

وارتدت الى شفتيه ابتسامته المعهودة ·

ونهض تمبلار عن مقعده ومشى الى صاحب المطعم فوضع يديه على منكبيه وقال :

ــ انى ذاهب .

فتجهم وجه الايطالى وقال :

ــ أبهذه السرعة ؟

ــ فأحنى تمبلار رأسه وقال :

ــ ولكنى سأعود ·· ان اللحم الذى يخرج من بيتك لا يزال شهيا لذيذا ·

وعبر القاعة وهو يرسل من فمه صفيرا خفيفا · ولما مر بمقصورة التليفون دخل اليها وتناول الدليل فقلبه حتى انتهى الى الاسم الذى يبحث عنه · ولكنه لم يتحدث اليه وانما حفظ عنوانه فى ذاكرته ·

وعندما وقفت به السيارة فى الشارع العاشر قفز منها الى الافريز فى خفة وراح يمشى وهو يتصفح أرقام المنازل ·

وكان يسير ويده فى جيبه وسيجارته بين شفتيه وخطواته مسترخية مترهلة كانه عاطل يتسكع ·

ولكنه لم يكن متسكعا وانما كان ينشد غاية كبرى · كان ينشد الانتقام للعدالة المحطمة من أحد الذين هدموا قطعة من تمثالها المقدس ·

وظل فى طريقه حتى انتهى الى البيت الذى يبحث عنه ·

وشمله بنظرة واحدة ورأى فى جدرانه بروزا ونتوءا يهون عليه تسلقه .

ودار تمبلار حول البيت فلمح نافذة مضاءة فى الطابق الثانى والستائر مسدلة عليها . فصح عزمه على أن يجعل من هذه النافذة هدفه المقصود وقد رجح لديه انها لابد أن تكون قاعة المكتبة لما عرفه عن النظام الحديث لتنسيق الغرف ·

وكانت عند الباب سيارة عليها شارة لا توضع الا على

سيارات كبار موظفي الحكومة . فاستنتج من ذلك أن صاحب الدار ـ وهو من كبار الموظفين ـ لابد أن يكون موجودا .

ودنا تمبلار من البيت حين اطمأن الى انقطاع أقدام السابلة ووثب في خفة الفهد فتعلق بنتوء في الجدار . وفي بضع حركات سريعة خفيفة كان قد بلغ أسفل النافذة المضاءة .

ولبث هناك برهة ليسترد أنفاسه واقفا على افريز بارز في الجدار .

وكان هذا الافريز منخفضا عن حافة النافذة وليس بينهما الا خطوة واحدة فلو ان تمبلار اجتاز هذه الخطوة لصار في داخل الغرفة .

ولم يتردد تمبلار ولم يطل به التفكير فاجتاز هذه الخطوة وتخطى حافة النافذة التي كانت مفتوحة والستار مسدل عليها .. !

وبهذه الخطوة صار في داخل الغرفة دون أن ينبض في صدره عرق واحد بالندم .



في هذه الدنيا كثيرون من السذج والبلهاء تستقر في أذهانهم عن القضاة صور خاطئة زائفة لا ظل لها من الحقيقة .. فهم يعتقدون أن القاضي قديس مطهر يرتفع فوق الشبهات ويسمو عن مظان الريب .. وانه رجل يقتل نفسه في خدمة العدالة ونصرتها .. وانه في مثل هذه الساعة من الليل يكون معتكفا في داره منكبا فوق كتب القانون يدرس قضاياه العويصة منصتا الى صرخات المظلومين حارما نفسه لذائذ الحياة ومتعاتها .

نعم .. هذا هو ما يتصوره السذج والبلهاء عن القضاة ولكن انصافا للواقع وتقريرا للحقيقة يجب أن

نقول ان سيمون تمبلار لم يكن من هؤلاء .

قد يكون بين القضاة قديسون مطهرون .. وقد يكون من بينهم من يفني نفسه في سبيل الحق والعدل .. ولكن لا يجب أن لا ننسى ان من بينهم أيضا القاضي واليس ناتير وأمثاله .. !

ولو كان تمبلار يؤمن بأن القضاة على تلك الصورة التي ذكرناها لتزعزع هذا الاعتقاد في نفسه أن يرى بينهم رجلا من طراز ناتير .

كان تمبلار واقفا خلف الستار ينظر الى داخل القاعة من خلال فرجتين .. وهناك .. على قيد خطوتين اثنتين منه .. كان القاضي واليس ناتير جالسا الى مكتبه وامامه رزمة ضخمة من أوراق النقد الكبيرة وهو يجري أصابعه عليها ليعدها وقسمات وجهه ناطقة بأجلى آيات الجشع والشره .

كان القاضي رجلا بدينا قصير القامة كانه كتلة من اللحم غير مسواة ركب فوقها رأس أصلع تتوسط وجهه عينان ضيقتان فيهما خبث ونذالة .

ويظهر أن نتيجة العد قد ارضته اذ ابتسم وأخذ يجمع الاوراق ويرصها ويضمها بعضها الى بعض في رفق واهتمام كانه أم تحنو على صغارها .. !

وتناول ورقة صغيرة مطوية كانت على المكتب تحت أحد الاثقال فنشرها والقى عليها نظرة عاجلة .. ثم ابتسم للمرة الثانية وكور الورقة وقذف بها الى سلة المهملات الموضوعة الى جانبه .

وأخذ رزمة الاوراق المالية وأخذ يحرك أطرافها بأصابعه منصتا الى خشخشتها كأنما تستحيل في أذنيه انغاما عذبة ناعمة .

وكان تمبلار لا يزال خلف الستار يرقب هذا المشهد

وقد انتشى وأسكره ما يرى .. هذه هي العظمة الحقة .. العظمة التي تتمثل في تلك البساطة التامة .. بساطة لا زيف فيها ولا رياء .

في هذه الدنيا قوم من المتوهمين يزعمون ان المال شر وانه لا يجلب لصاحبه السعادة .. فاين هم .. ؟ اين هم الان . ليروا القاضي والبس ناتير وهو يبدو أسعد الناس .. وانظاره مستقرة على رزمة الاوراق المالية .. !

المال لا يجلب السعادة . ! هراء . ! سخف . ! هذيان . !

لو ان هذا كان صحيحا لما رأى تمبلار القاضي ناتير كما يراه الان . باسما راضيا تنطلق تعابير سحنته بانه أسعد الناس وأهناهم بالا .

وشق على تمبلار أن يفسد بتدخله هذا المشهد البديع .. شق عليه أن يهبط بالقاضي من حالق السعادة الى هاوية الالم .. ! ولكن ما العمل ولابد له من أن يتدخل .

وأزاح تمبلار الستار وقال :

ـ طاب مساؤك يا سيدي القاضي . !

ومن الانصاف أن تقول أن تمبلار بذل أقصى الجهد حتى يخفف من وقع الصدمة على القاضي .. فنطق بهذه الجملة في صوت رقيق عطوف فياض بالحنو والمودة . ولكنه تنهد قنوطا ويأسا حين رأى أن مقاصده الشريفة النبيلة لم تتحقق .

لم يكد القاضي ناتير يسمع هذه التحية الكريمة حتى أتى في لحظة واحدة ثلاث حركات مختلفة : فأولا افلتت يده رزمة الاوراق المالية . وثانيا دار بمقعده اللفاف .. وثالثا امتدت يده الى درج جانبي في مكتبه .

وقد سقطت الرزمة .. ودار المقعد . أما الحركة الثالثة فهي الوحيدة التي لم تتم .. !

لقد رأى أمامه فوهة مسدس تهدده بالموت .. ورأى عينين هازئتين عابثتين تنظران اليه ..

وكانت هذه النظرات أشد أثرا في نفسه من المسدس .

ومرت بضع ثوان والقاضي المحترم جامد في مكانه وصدره يعلو وينخفض وأنفاسه مبهورة متلاحقة . وهو يحملق في الرجل الواقف أمامه دون أن يسعفه ذهنه بكلمة واحدة .

وأخيرا ـ وفي جهد ملموس جعل جبينه يتصبب عرقا ـ حاول أن ينفض عن نفسه هذا الخوف المفاجىء الذي استولى عليه .

وهم بأن ينهض عن مقعده .. وهذه الحركة لم تتجاوز دائرة التفكير والنية فقد رأى تمبلار يهز المسدس في يده هزة لم يخف مغزاها على القاضي الذكي فجمد في مكانه مستكينا .. وكأنما خشي تمبلار أن يتبادر الى ذهن القاضي انه يهدده ويتوعده فقال مفسرا :

ـ لا تزعج نفسك يا صديقي العزيز .. اني أعلم أن آداب السلوك تقضي على رب الدار بأن ينهض واقفا وهو يستقبل زائريه .. ولكن لا داعي لأن تستمسك بهذه التقاليد فاني رجل ديمقراطي شديد التساهل . فابق مكانك ولا تتعب قدميك . !

ونحى القاضي بصره عن المسدس ونظر الى وجه تمبلار .

وكان صوته ينسجم مع هذا الوجه .. كلاهما ينم عن الهزء والاستخفاف .. كلاهما فيه جرأة وقلة اكتراث .. كلاهما مثير مخيف يلقي الرعب في القلوب .

وللمرة الثانية غاض اللون من وجه القاضي بعد أن كان قد بدأ يستجمع شجاعته .

ولكن الموقف كان يقتضي منه أن يتكلم وأن يقول ولو

جملة واحدة .

وتكلم ناتير ونطق بهذه الجملة فقال :

ـ ما معنى هذه المهزلة السخيفة .. ؟

ولكنه حين سمع صوت نفسه أجفل ودهش ..

كان صوته رفيعا حادا متحشرجا ، كان أشبه بنعيق غراب .. أو رنين اناء مشروخ .. أو ذبحة حيوان مخنوق .

ومهما يكن من أمر فقد انكر انه صوته :

وتكلم تمبلار قائلا :

ـ اجلس انبئك بما تسأل عنه .. اما اذا ابيت أن تجلس فهذا شأنك طبعا .. ولكن يجب أن تعلم انى لقيت فى طريقى حانوتا يبيع توابيت الموتى باسعار رخيصة اعجبتنى منها تابوت يتسع لقدك النحيل الاهيف .. اولا تنس أيضا أن هذا يوم مبروك لن يريد أن يموت .. !

واضطر القاضى ناتير الى الجلوس لانه كان يكره أن يموت سواء كان اليوم مبروكا أو غير مبروك .

وابتسم تمبلار وقال :

ـ شكرا لك .

ثم مشى الى الباب فاوصده بالمفتاح ورجع الى المكتب فاستوى جالسا على حافته فى رشاقة وجعل يطوح ساقه فى استرخاء ، كأنه شاب يلهو ويعبث وقد تسمرت نظراته النفاذة على وجه القاضى المحترم .

وأومأ تمبلار بفوهة مسدسه الى رزمة الاوراق المالية الموضوعة على المكتب وقال :

ـ كأنى به مبلغ جسيم .. ! انه يغرينى بأن اتناسى مبادئى الشريفة .. !

فقال القاضى على الفور :

ـ اذن فانت تبغى السرقة .. ؟

واستشف تمبلار فى صوته نبرة تدل على الارتياح .

وهز راسه نفيا وحملق فى سائله بعينين بريئتين دهشتين وقال :

ـ انك تخطىء فهمى يا عزيزى القاضى .. لقد أردت فقط أن أريك انى اناضل فى نفسى هذا الاغراء .. انى انما حضرت أبغى التعرف بك وتبادل حديث ودى معك .. أريد أن اعرف أين ولدت .. ؟ ولماذا .. ؟ وما هو رأيك فى نزع السلاح .. ؟ وهل وجهك دائما دميم بهذا الشكل أم أن سيارة داست فوقه فشوهت معالمه .. ؟ كلا يا صديقى .. انى ما اتيت لاسرق .. ! انى رجل شريف لا امد يدا الى مال سواى .. !

واستقر بصره للمرة الثانية على رزمة الاوراق النقدية وبان التردد فى عينيه كأنما يغالب فى نفسه قوة قاهرة تغريه بالاستيلاء عليها .

ورطب القاضى شفتيه بلسانه ثم قال فى صوته المبحوح :

ـ ما هذا الهذيان .. ؟

ـ زيارة ودية ليس الا .. !

وعاد تمبلار ينظر الى الاوراق المالية .. ولاح عليه ان فكرة السرقة بدأت ترسخ فى ذهنه فتنهد وقال :

ـ يظهر انى ساضطر الى الاستيلاء على هذه الاوراق .. ان رؤيتى لها تشغل ذهنى وتصرفنى عما انا فيه .. انها تغازلنى .. !

وقست نظرات القاضى ناتير وطافت بذهنه خواطر شتى ولكن مسدس سيمون تمبلار المصوب اليه ألزمه مكانه اذ كان يعلم ان المسدسات صنعت لتقتل لا لتكون العوبة يلهو بها الناس .

ولما رأى تمبلار يتناول رزمة الاوراق ويدسها فى جيبه

انطلقت عقدة لسانه فصاح قائلا :

ــ تبا لك ٠ ! انك لن تفلت من العقاب ٠ !

فقال تمبلار فى لهجة مرحة :

ــ انى أعلم ذلك ٠٠ وانى أعرف بانه لم يكن من سداد الرأى أن افعل هذا معك انت بالذات وفى مقدورك أن تؤلب ضدى قوات البوليس باسرها ٠٠ ومما يؤسف له حقا انك لم تشعر نحوى بأى شعور ودى والا لامضينا سهرة شائقة ممتعة وصرنا من الاصدقاء ٠ فلو فرض وقبض على بعد ذلك وحوكمت أمامك لكان رجائى قويا فى أن تبرىء ساحتى كما ابرات من قبل ساحة صديقك العزيز جاك اربول ٠٠ اعنى المرحوم جاك اربول ٠

وغاض اللون من وجه القاضى تاثير وابرقت عيناه ببريق الشر وانحدرت قطرات العرق على خديه ٠

وقال تمبلار مسترسلا :

ــ ولكن لا تغضب ٠٠ خبرنى كم المبلغ الذى اقترضته منك حتى اعطيت عنه ايصالا ٠ ؟

فاجابه القاضى :

ــ عشرون الف دولار ٠

فهز تمبلار راسه قائلا :

ــ ثمن لا بأس به لشراء الذمم والضمائر ٠

واتسعت حدقتا القاضى رعبا وفزعا ولكنه لاذ بالصمت فلم يقل شيئا ٠

وابتسم تمبلار وقال فى صوت رقيق :

ــ اعذرنى اذ اذهلتنى المفاجاة عن ان اقدم اليك نفسى ٠٠ اننى ادعى تمبلار ٠٠ سيمون تمبلار ٠٠ ولا شك انك سمعت عنى ٠

ولم يكن تمبلار فى حاجة الى جواب عن سؤاله فان الذعر الذى ارتسم فى عينى القاضى كان اصدق جواب

عن هذا السؤال ٠

وازدرد المسكين ريقه وقد جف حلقه وتكلم فى صوت متهدج خرج من بين شفتين مرتعدتين قائلا :

ــ اذن فانت الرجل الذى أرسل الى اربول ذلك الانذار ٠ ؟

فاحنى تمبلار راسه وقال :

ــ وانا أيضا الرجل الذى قتل اربول ! انت افرجت عنه وانا قتلته ٠

وتململ القاضى فى مقعده فى خوف وانزعاج وقد شعر بان اعصابه بدات تخونه وانه لم يعد يقوى على المقاومة ٠

وتكلم فى صوت متهدج مبحوح قائلا :

ــ ماذا تريد ٠ ؟

فجعل تمبلار يهز ساقه كانها رقاص الساعة وقال :

ــ لقد حضرت لاتحدث اليك ٠ كنت أظن انك تعرف اشياء كثيرة ٠٠ لقد سمعت عنك انك صديق حميم لجاك اربول وذكرت الصحف اليوم انك الرجل الذى صرح لاربول بحمل السلاح الذى مكنه من قتل انسكى ٠ وانت الرجل الذى افرجت عنه حين قبض عليه البوليس رهن التحقيق ٠ وانت الذى أرجات قضيته مرة بعد مرة وشهرا بعد شهر ٠ واخيرا انت الرجل الذى نطقت اليوم ببراءته ٠ وهناك مسألة اخرى قديمة وهى انك انت الذى ابرات اربول منذ ثلاث سنوات حين حوكم امامك لقتله طفلا يدعى ويلى فالكروس ٠

وسكت تمبلار برهة ثم استرسل قائلا :

ــ فهذا هو تاريخ حياتك ٠ ولهذا جئت أسعى الى مقابلتك لاننى ارجو أن اجد فيك صديقا ينفعنى وقت الضيق كما نفعت من قبل جاك وأعوانه ٠

الفصل الثانى

اعتصم والبس ناتير بالصمت ولم ينبس بكلمة واحدة .. وكان غارقا فى مقعده كانه كتلة من اللحم لا حياة فيها ولا شعور . ولكن الوميض الذى يشع من عينيه كان الدليل الوحيد على أنه حى يفهم ويدرك وكان وميضا حافلا بأجلى امارات الحقد والغضب . ولكن تمبلار لم يكن حديث عهد بمثل هذه النظرات فاسترسل فى حديثه غير عابىء بها :

ـ قبل أن ادخل هذه الغرفة رأيتك تقرأ ورقة صغيرة يلوح أن لها علاقة بالعشرين ألف دولار التى اقترضتها منك .

فقال القاضى فى خشونة :

ـ لست أدرى عم تتحدث ؟

ـ حقا ؟

وكان صوت تمبلار ظريفا . ولكن الوميض المنبعث من عينيه كان لا يزال أمضى من نصل السيف .

ـ اذن فأنت لا تدرى عم أتحدث .. دعنى أنبه ذاكرتك يا صديقى لقد كورت الرقعة وقذفت بها الى سلة المهملات وهى لا تزال هناك واحب ان اراها .

فارتعد ناتير وازدرد ريقه وقال :

ـ ولماذا لا تأخذها مادمت تعرف مكانها . ؟

ـ لأنى لا اريد أن أهيىء لك فرصة تنقض فيها على وانا منحن فوق السلة . هيا أبحث عنها وآتنى بها !

وكان صوت تمبلار حادا قاسيا كانه فرقعة سوط على ظهر حيوان عنيد عاص . وارتعد القاضى ناتير ولكنه لبث مكانه جامدا لا يتحرك

وساد الغرفة جو خانق . وتبددت الابتسامة التى

كانت مرتسمة على شفتى تمبلار واشتدت نظراته اذ اعتاد طول حياته ان يأمر فيطاع فكانت هذه اول مرة يعصى له فيها أمر يصدره . !

وتفرس تمبلار فى وجه القاضى وعرف على الفور الخاطر الجديد الذى وثب الى ذهنه .. كان ناتير يفكر فى ان يستجمع شجاعته وجرأته فينقض على تمبلار فى حركة فجائية يائسة ويختطف المسدس من يده وأراد تمبلار ان يفهم القاضى انه ليس غافلا عن هذه الخواطر الجنونية التى تدور فى ذهنه فقال فى صوته الهادى :

ـ المعروف عنى أنى لا أجيد اصابة الهدف ولكن المسافة التى بينى وبينك لا تزيد عن قدمين فلا أحسبنى ساخطىء المرمى .

فقال القاضى بصوته المختنق :

ـ ألتمن تجرؤ على اطلاق النار .

ونطق القاضى بهذه الجملة لكى يبث فى نفسه الشجاعة . فكان جواب تمبلار ان قال فى برود :

ـ لا أجرؤ . ! انى لا أعرف هذه الكلمة . ! وينبغى أن تذكر يا صديقى العزيز ان الناس فى هذه البلاد لا يحملون المسدسات لمجرد الزينة .

وكان تمبلار وهو ينطق بهذه الكلمات يفكر فى السبب الذى يجعل القاضى ناتير يجازف بحياته هذه المجازفة اليائسة وهو يعلم أنه قد يستهدف للموت .. ايفعل ذلك من اجل عشرين ألف دولار . ؟

كلا .. فمهما بلغت به الحماقة فانه لن يهدر دمه من اجل هذا المبلغ التافه .

اذن فلابد ان يكون هناك دافع آخر يحمله على هذه المجازفة .

ولم يكن تمبلار فى حاجة الى شىء من الذكاء لكى

يدرك ان الرقعة الملقاة فى سلة المهملات هى هذا الدافع ٠٠ !

لابد ان فى الكلمات المخطوطة عليها سرا يهم القاضى ان يبقى دفينا مكتوما ٠٠ سرا يجعله يواجه الموت ويتزحزح فى مقعده خلسة وهو يفكر فى الوثوب على سيمون تمبلار ٠

لم يكن تمبلار غافلا عن تلك الحركات المختلسة ٠٠ فها هو ذا ناتير يتحرك فى مقعده تدريجيا ويستجمع قوته ليثب الوثبة القاتلة ٠

نعم ٠٠ قاتلة لان تمبلار ما كان ليتردد فى ان يطلق عليه النار .. لقد انذره وحذره فاذا صم اذنيه عن النصيحة فهو الجانى على نفسه ٠٠ وتكون الاقدار هى التى تريد له الموت لتخلص العالم من قاضى يحمى المجرمين الدمويين ٠

حقيقة ان صوت الطلق النارى كفيل بان ينبه الخدم فيخفون سراعا الى نجدة سيدهم . ولكن قبل ان يصلوا الى باب القاعة المغلقة يكون تمبلار قد التقط الرقعة من سلة المهملات وتخطى النافذة الى نتوء الجدار وهبط منه الى الطريق قبل ان يفكر احد فى اغتصاب باب الغرفة .

وجعل تمبلار يتفرس فى القاضى ويده على زناد المسدس منتظرا الوثبة القاتلة ٠

ولكن الوثبة لم تتم والرصاصة لم تنطلق !

وذلك ان جرس التليفون دق فى تلك اللحظة فأفسد الخطة التى كان ينويها القاضى اذ التفت مسرعا الى جهاز التليفون وانتقل بخواطره الى تلك الناحية وقد ارتسمت فى عينيه دلائل ذعر جديد .!

وكان على الطاولة جهازان للتليفون يتصلان بالخارج

عن طريق واحد ، اذ المفروض ان يستعمل السكرتير احدهما بينما يستعمل القاضى الثانى فى نفس اللحظة ليكون على بينة مما يقال للسكرتير ٠

وتناول تمبلار احدى السماعتين وهو يقول :

ــ اجب على هذا النداء ايها الاخ .

وكان صوته رقيقا متوسلا ٠ ولكن الحركة التى بدرت من مسدسه عكست هذه الرقة لانها كانت نذيرا بالموت اذا ابى القاضى ان يتكلم وتناول القاضى ناتير السماعة الاخرى ووضعها على اذنه وقال فى صوته المذبوح

ــ انا القاضى ناتير .

وسمع تمبلار صوتا نسائيا يقول:

ــ اننى .. فاى .

وكان الصوت عذبا موسيقيا يفتن السامع ٠٠ وكان القديس مغتبطا وهو يصغى اليه اذ كان من هذه الاصوات التى لا تنسى مدى الحياة . !

واسترسلت فاى قائلة :

ــ ان الرفيق الكبير يطلب اليك ان تبقى الليلة فى دارك ٠٠ انه قد يحتاج اليك ٠

وابرقت عينا ناتير ثم نظر الى تمبلار فى خوفة جديد .

وحرك تمبلار مسدسه بتلك الطريقة التى لا يخفى مغزاها على القاضى الفطن ٠

وقال القاضى مجيبا :

ــ حسنا ، لن اخرج الليلة .

واختتمت فاى حديثها بقولها :

ــ شكرا ٠

ثم قطعت المواصلة التليفونية .

ولم يفهم تمبلار طبعا الغاية المقصودة من هذا

الحديث . وما هو السبب الذي يجعل الرفيق الكبير يطلب الى القاضي أن يبقى في البيت بل لم يكن يعرف من هو الرفيق الكبير . .

وكان القاضي ناتير يعرف جواب هذه الاسئلة دون شك .. ولكن تمبلار لم يكن يطمع أن يظفر منه بالجواب المنشود .

وقال تمبلار باسما :

ـ هذا شيء لطيف .. !

فقطب القاضي جبينه وقال :

ـ انها احدى عميلاتي .

ـ لطيف جدا .. انى لم اكن أعرف ان للقضاة عملاء وعميلات .. المفروض في القاضي أن يكون نزيها عادلا .. ولست اشك في انها على غاية من الجمال مادام لها هذا الصوت الموسيقي .. خبرني يا صديقي العزيز أهناك سر تكتمه عني .. ؟

فقال القاضي في صوت جاف :

ـ الى متى تدوم هذه المهزلة .. ؟

ـ ستدوم الى ان يدركني الملل .. ولعلك تلاحظ اني لم اتثاءب بعد .. واذا سألتني رأيي بصفتي ناقدا فنيا قلت لك ان الفصل الثاني خير من الفصل الاول .. وارجو أن يكون الفصل الثالث خيرا من الاثنين .. فهل لك في أن تزيدني ايضاحا عن الرفيق الكبير .. انى رجل شديد الفضول .

فومضت عينا ناتير بنظرات ينبعث منها الشرر وقال :

ـ انى اكون مجنونا اذا تكلمت .. !

ـ بل تكون مجنونا لو ابيت ان تتكلم .

ـ اذهب الى الجحيم .

فقال تمبلار في هدوء :

ـ ولكنك ستسليني .

ونهض تمبلار واقفا عن حافة المكتب ودنا من القاضي وهو يقول :

ـ انك عنيد يا صديقي .. فهل تجهل أن تمبلار قد اعتاد أن يطاع ؟ أحسبتني حضرت اليك لاستمتع بمرأى وجهك الجميل .. ؟ انك تعرف من أنا وتعرف أن لي في السوق تاريخا قديما . فهيا تكلم والا ..

ـ والا ماذا .. ؟

فحرك الكديس مسدسه والصق فوهته في صدر القاضي وقال :

ـ والا أرسلتك الى أربول لتحمل اليه تحياتي :

وضاقت عينا القاضي وبان الذعر في عينيه فقال تمبلار يحذره .

ـ واياك أن تكذب .. والا فان حانوت التوابيت لايزال مفتوحا حتى هذه الساعة .. !

ورطب ناتير شفتيه بلسانه اذ كان يعلم الخطر المحدق به .. لم يكن في لهجة تمبلار او في نظراته او في حركاته مما يدل على أنه يهزل فيما يقول .. وكان ناتير يعرف حق المعرفة ـ وحادث اربول لا يزال حاضرا في ذهنه ـ انه أمام معتوه ولن يتردد في ان يطلق عليه النـار .

وفتح القاضي فمه ليتكلم .. وقبل ان تنطلق من فمه كلمة واحدة ارتفع خارج القاعة وقع اقدام تقترب .

وارهف تمبلار اذنيه للسمع .. واستنتج من طريقة المشية المنظمة ان صاحبها لابد أن يكون أحد الخدم .

ورفع ناتير رأسه وقد انتعش رجاؤه وقوى أمله في النجاة ولكن فوهة المسدس التى تضغط صدره كانت لا تزال في وضعها الاول .

وهمس تمبلار يقول في صوت خافت :

ــ ان الحماقة قتالة .. فاحذر لنفسك .

وقرع الباب على أثر ذلك قرعتين خفيفتين ! .

ونظر تاتير الى تمبلار مستفسرا عما ينبغي أن يفعل اذ كان يخشى ان يقدم على حركة أو ينطق بكلمة تجلب له الهلاك .

وقال تمبلار همسا :

ــ سله ماذا يريد ؟

فصاح القاضي في صوت مرتفع قائلا :

ــ ماذا تريد ..؟

فجاء جواب الخادم يقول :

ــ المفتش فرناك يطلب مقابلتك لامر هام .

ونظر تاتير الى تمبلار وقد اتسعت حدقتاه ، أما تمبلار فابتسم .

لم يكن تمبلار خائفا . ولم ير في قدوم المفتش ما يحمله على تعديل خطته .. بل لقد رأى في ذلك على العكس ، فرصة تمهد له سبيلا الى النضال

وقال تمبلار في صوت خافت :

ــ دعه يصعد .

فأسرع تاتير يقول للخادم :

ــ دعه يصعد .

وقد نطق بهذه الجملة في سرعة عجيبة كأنما يخشى أن يرجع القديس عن رأيه . وكانت هذه أول مرة نفذ فيها أمر تمبلار بطيبة خاطر .

وأخذ وقع قدمي الخادم يخف تدريجيا وهو يبتعد عن الغرفة ولبث القاضي صامتا وهو يترقب قدوم المفتش فرناك اذ كان يعتقد أن وجوده كفيل بان ينقذه من الخطر الذي يتهدده . ولكن الشيء الوحيد الذي أدهشه هو أن

تمبلار لم يعارض في صعود المفتش !

وقال تمبلار معبرا عن الخواطر التي جالت في رأس القاضي :

ــ لاتدهش يا عزيزي .. ولا تحسبن اني أنوي الفرار اذ الواقع اني كنت شديد التلهف الى مقابلة المفتش فرناك .

وحملق تاتير دهشا في هذا المعتوه الذي يعلم أن مفتش البوليس سيدخل الغرفة بعد لحظات فلا يفكر في الهرب بل يظل في مكانه هادئا باسما كأنه ينتظر مجيء صديق عزيز .. !

ولاول مرة ابتسم القاضي وقال :

ــ وسيتحقق رجاؤك .. !

وأشعل تمبلار سيجارته ومضى يدخن في التذاذ وينفث من بين شفتيه حلقات كثيفة من الدخان يتابعها بنظراته وهي تتلوى في الهواء وتتبدد صاعدة الى السقف .

لم يكن في هيئته ما ينم عن الخوف .. بل كان هادئا بارد الاعصاب ، والومضات التي تنبعث من عينيه لاتزال على عهدها نفاذة حادة .

واقترب تمبلار من سلة المهملات وضربها بقدمه فانقلبت وتناثرت منها الاوراق فانحنى في سرعة البرق والتقط من بينها الرقعة المكورة قبل أن يفطن القاضي تاتير الى ما حدث .. ! ثم فتح درج المكتب الذي امتدت اليه يد القاضي عندما فاجأه تمبلار فوجد فيه مسدسا تناوله ودسه في جيبه .

ثم مشى الى ركن الغرفة فسحب مقعدا كان هناك وأداره بحيث صار مسنده الخلفي الى الباب الذي سيدخل منه المفتش فرناك . وجلس على هذا المقعد فيحجبه المسند عن نظر المفتش عند دخوله .

ونفض تمبلار رماد سيجارته على السجادة النفيسة وهو يقول :

ـ عندما يحضر فرناك افتح له الباب وادخله ثم عد الى مقعدك ٠ أفاهم ما أقول ؟

ولكن ناتير لم يفهم شيئا ٠٠ اذ كان لا يشغل ذهنه الا التفكير فيما سيقع فى الدقائق القليلة الاتية ٠٠ ان قدوم المفتش فرناك أشبه شىء باستجابة دعاء حار لبته الاقدار فى الفور واللحظة ٠ فبظهور المفتش على المسرح يستطيع ناتير أن يسترد الرقعة السرية ٠٠ بل يستطيع أن يقبض على هذا الشيطان ٠

وقطع عليه تمبلار حبل تصوراته بقوله :

ـ ساضع مسدسى فى جيبى ٠٠ ولكن اعلم انى سريع الحركة وان فى وسعى أن اخرجه فى غمضة عين ٠٠ فاذا حاولت أن تشى بى فسيموت احدنا ولن يكون الميت أنا على اى الاحوال ٠

وتطاير الشرر فى عينى ناتير وقال فى لهجة بطيئة تهديدية :

ـ فى يوم ما ٠٠ يوم قريب ٠٠ سنلتقى ٠

فقال تمبلار باسما :

ـ طبعا سنلتقى ٠٠ فى سجن سنج سنج ٠٠ ساكون انا زائرا وستكون انت ضيفا مقيما ٠

وانتهى الى سمعهما وقع خطوات الخادم وهو يدنو من القاعة مقترنا بوقع ثقيل منتظم ٠٠

ونقر الخادم على الباب وقال :

ـ المفتش فرناك ياسيدى ٠

واشار تمبلار الى القاضى بالنهوض فعبر القاعة ومشى الى الباب ٠

ولكنه كان فى كل خطوة يخطوها يشعر تمام الشعور

بأن المسدس المخبأ مصوب الى ظهره وأن اية خيانة يأتيها كفيلة بأن تضع حدا لحياته ٠

وادار القاضى المفتاح فى ثقب الباب ثم فتحه فظهر المفتش فرناك على عتبة القاعة بقامته الطويلة ومنكبيه العريضين ٠



واستهل المفتش فرناك حديثه بأن قال فى صوت جاف :

ـ ما الداعى الى ايصادك الباب بالمفتاح ٠٠ ؟ هل أنت خائف ؟

واغلق القاضى الباب دون أن يجيب على هذا السؤال فتبرع تمبلار بالاجابة قائلا :

ـ انى أنا الذى أغلقته ٠ فهل تتكرم باغلاقه ثانية ياحضرة القاضى ٠

ولم يكد فرناك يسمع أول كلمة من هذا القول حتى دار على عقبيه دهشا اذ لم يكن قد رأى تمبلار عند دخوله ٠

وتفرس المفتش فى وجه ذلك الشاب الجالس على المقعد الكبير الوثير ثم ارسل بصره الى القاضى متسائلا وأزاح قبعته الى الوراء وحك باصبعه الجزء الواقع خلف أذنه وقال :

ـ من هذا ؟

فهز القاضى ناتير كتفيه فى استخفاف قائلا :

ـ مجنون ٠٠ !

وتغاضى تمبلار عن هذه الاهانة التى وجهت اليه واستمر يتأمل الزائر ٠

ولم تكن هذه الصورة غريبة عنه بل سبق له أن رأى نظيرها فى دور السينما ٠٠ ففرناك خير مثال للبوليس السرى الامريكى ٠

ولكن الشىء الذى راقه فيه ما يبدو فى عينيه من دلائل

الامانة والنزاهة .. فهذه النظرات الصادقة المخلصة لا يمكن أن تصدر عن رجل خرب الذمة .

وفي هذه البلاد قل أن تجد شرطيا لم يعد يده الى مال ليس له حق فيه .

وابتسم تمبلار في وجه الرجل ولكنه قابل هذه الابتسامة بأن قطب جبينه وبان عليه الغضب .

وتمتم تمبلار قائلا :

ـ ألم تعرفني ياحضرة المفتش .. ؟ هذا شيء يؤسفني له .. لقد كنت أعتقد انى أشهر من ذلك . ولكن يظهر انى مخدوع في نفسي واشتدت نظرات المفتش وتقلصت جبهته ثم هز رأسه وقال :

ـ يخيل الي انى أعرف هذا الوجه .. ولكن لست أذكر أين رأيته .

فقال تمبلار في لهجة تدل على الاعتذار :

ـ لابد أن الصورة لم تكن متقنة .. اذ كيف تنسى وجهي وقد كنت منذ بضع ساعات توزع نسخا من صورتي على الصحفيين ؟

فأشرق ذهن فرناك فجأة كومضة البرق الخاطفة !

وأرسلت عيناه لهيبا كالجمر وتصلب فكاه وتقدم الى ناحية تمبلار ثلاث خطوات وهو يقول :

ـ سيمون تمبلار .. ! القديس .. !

ـ بعينه .. بلحمه ودمه . عندما علمت بزيارتك آثرت أن أنتظر حتى ألقاك .

وكانت المفاجأة غير منتظرة فلبث فرناك مذهولا برهة قصيرة وهو يتساءل عما يدعو تمبلار الى أن يقدم نفسه اليه فريسة سهلة .

وقال المفتش في صوت خشن :

ـ انى أريدك أيها الصديق .

وامتدت يده بسرعة الى جيبه الخلفي ليخرج مسدسه! ولكن يده جمدت في الهواء على قيد بوصة واحدة من جيبه .. وذلك انه رأى أمامه مسدسا مصوبا اليه !

وقال تمبلار معتذرا :

ـ انى آسف . !

وكان آسفا حقا . !

واسترسل قائلا :

ـ انى أكره أن يقبض على أحد .. ولعلك قد أدركت ذلك من الاطلاع على قائمة سوابقي .. ان القبض على حلم لا يمكن أن يتحقق .

ثم ضحك تمبلار واسترسل قائلا :

ـ أتظن يا صاح انى بقيت هنا لكى أقدم نفسي هدية لك . ؟

وجعل فرناك ينظر الى المسدس نظرات يتطاير منها الشرر وهو صامت لا يتكلم .

وسرى القلق الى صدر تمبلار اذ كان يخشى أن يقدم فرناك على تلك الحماقة الكبرى فينقض عليه فيضطر الى اطلاق النار دفاعا عن نفسه .

ولم يكن بعيدا أن يفعل فرناك هذا وله هذه الذقن المدببة البارزة التي تدل على قوة الارادة وعلى أن صاحبها ليس من الطراز الذي يخضع لامر يصدر اليه .

وكان تمبلار يمقت بطبيعة الحال أن يطلق النار على رجل كفرناك يعد فخرا لرجال البوليس في تلك البلاد .

وصرف فرناك بأسنانه غيظا ثم هز كتفيه في غير اكتراث قائلا :

ـ ولكن ما معنى هذا ؟

فأجابه تمبلار بصوته الهادىء :

ـ سهرة عائلية .. فاجلس واشترك معنا .. الا

تعرف بعض الحكايات المسلية !

وسحب فرناك مقعدا وجلس عليه مواجها سيمون تمبلار .

لقد أخفق فى القبض عليه .. فأى ضير فى ان يصغى الى ما يقال ؟

وقال متسائلا :

ـ ماذا تفعل هنا ؟

وكانت نبرات صوته تدل ـ ولاول مرة ـ على الاحترام والتقدير .

وأومأ تمبلار بمسدسه الى القاضى يأمره بالجلوس ثم التفت الى فرناك وقال :

ـ هل لى فى أن أوجه اليك نفس السؤال ؟

ونظر فرناك الى القاضى مفكرا .

واستشف تمبلار فى هـذه النظـرة اجـلى دلائل الازدراء !

ثم تحول بغتة الى تمبلار وقال فى خشونة :

ـ لا تسلنى عن شىء .

ومضى تمبلار ينظر الى القاضى والى المفتش ثم قال :

ـ بودى أن اجمع بينكما فى صورة واحدة . . القاضى حامى العدالة .. والشرطى منفذ العدالة .. الا تعتقد يا فرناك انها تكون صورة بديعة ! ليت شعرى ماذا نسميها ؟ نعم فلنسمها : خرافة العدالة .

فتجهم وجه المفتش وتململ القاضى فى مقعده .

وساد الغرفة سكون قصير قطعه المفتش وهو يقول بخشونته المعهودة :

ـ أتعرف بعض حكايات خرافية عن هذه ؟

فابتسم تمبلار وقال :

ـ حكايات كثيرة .. وسأقص عليك احدثها عهدا ..

يحكى أنه كان هناك فى سالف العصر والاوان مدينة عظيمة تعد من اغنى المدن فى العالم .. وكانت للمدينة ابراج عظيمة ترتفع الى السـماء وطرقات مرصـوفة بالدر والياقوت .

وكان أهل المدينة سعداء هانئى البال متحـابين مخلصين .. الى أن جاء يوم قذف اليهم البحر أخطبوطا هائل الحجم به اذناب طويلة اذا بسطها بلغت أعلى الابراج . وخاف الناس بطش الاخطبوط فأخذوا يعملون على ارضائه حتى سمن وكبر على طعام من الدم والذهب وشرف الرجال .. !

وسكت تمبلار وارتفع صوت فرناك يقول فى مرارة :

ـ هذه ليست قصة خرافية .. انها أصدق من أن تكون مضحكة .

ـ ومن أنبأك بانى أردت منها أن تكون قصـة مضحكة .. فرناك . انك تعلم السبب الذى دفعنى الى القدوم الى بلادكم .. بعد ظهر اليوم قمت بعمل مجيد بقتلى أربول .. كان المفروض طبعا أن يقوم القاضى ناتير بهذا الواجب . ولكنه اهمل فتقدمت أنا الى الميدان .. لقد كان أربول صديقا لك .. أليس كذلك ؟

فتقلصت عضلات وجه المفتش وقال :

ـ انك تعرف الشىء الكثير فيما أرى ؟

ـ واعرف أيضا أن القاضى ناتير صديق حميم لجاك أربول .. ولهذا جئت أسعى الى مقابلته ولكننى لم أكد أمضى فى رفقته نصف ساعة حتى حضرت أنت .. لقد سألتك منذ هنيهة عما دعاك الى الحضور . ومازلت عند سؤالى .

ونظر فرناك الى القاضى الذى كان متهالكا فى مقعده لا يتكلم ولا يتحرك . والعرق البارد يتصبب على جبينه .

ثم عاد فرناك ينظر الى تمبلار وقال :

— ليس من عادتى أن أجيب على الأسئلة التى توجه الى .

فنفث تمبلار من فمه حلقة من الدخان نظر من خلالها الى وجه المفتش الذى يدل على الصلابة والعناد وقال :

— فليكن .. ولكن هل لك فى أن تترجم لى جملة لم افهم معناها بعد ؟

— وما هى هذه الجملة ؟

« الرفيق الكبير يطلب منك أن تبقى الليلة فى دارك فقد يحتاج اليك » .

وكانت هذه هى نفس الجملة التى رددتها الفتاة المجهولة فاى وهى تخاطب القاضى ناتير تليفونيا . اذ كان تمبلار شديد التلهف الى معرفة معناها ومعرفة شخصية ذلك الرجل الذى يرمزون اليه « بالرفيق الكبير » .

ولو أن تمبلار ألقى فى القاعة قنبلة لما أحدثت الاثر الذى أحدثه نطقه بهذه الجملة . ! فلم يكد ناتير يسمعها حتى احتبست أنفاسه وأخذ صدره يعلو وينخفض وأصيب بالفواق لشدة انفعاله . أما المفتش فرناك فما سمع هذه الجملة حتى هب واقفا وقد اتسعت عيناه ثم ضاقتا واستحالت نظراته جمرات من اللهب . !

وصاح فرناك فى صوت مذبوح :

— كرر هذه الجملة . !

فابتسم تمبلار وقال :

— الم تدرك ما أريد .. ؟ كنت أسألك أن تفهمنى شيئا غمض على

— ولماذا تسأل ؟

ورأى القاضى ناتير أن الموقف قد تحرج وانه يوشك أن يتكشف عن أشياء ينبغى أن تظل مكتومة مستورة .

فصاح قائلا بصوته الاجش :

— هذا شيء لا يطاق أليس فى وسعك أن تفعل شيئا يافرناك بدلا من تصغى الى هذا المجنون ؟

فنظر اليه فرناك فى ازدراء وقال :

— طبعا .. انتزع منه هذا المسدس واقبض لك عليه . فصرخ ناتير قائلا :

— ساشكوك الى مدير البوليس .. اقسم أنى ساعمل على طردك من منصبك ! ما فائدة القوانين اذن اذا جاء الى بيتى مجنون يتهددنى بمسدسه بين سمعك وبصرك !

فقال تمبلار مكملا :

— وما فائدة القوانين اذا برأ القضاة رجال العصابات الذين يقتلون الشرطة هيا بنا يا عزيزى ناتير نشترك معا ونرفع احتجاجا فى هذا الشأن ؟

واحتبس الكلام فى صدر ناتير ونهض تمبلار واقفا وفى نيته أن ينصرف اذ كان يعتقد أن لا فائدة ترجى من بقائه وحسبه أن هذه المقابلة تبشر بمعركة قريبة .

ودنا من المكتب ورفع غطاء الصندوق البرونزى الموضوع فوقه وتناول منه سيجارا كبيرا شمه وهو يقول :

— يجب أن اشكرك يا عزيزى ناتير .. انك تختار سجائرك من أعلى الأصناف .. كلا .. حسبى سيجارا واحدا . أرجوك أن لا تلح على .. انك كريم جدا ولا يسعنى أن أرفض رجاءك .. !

وافرغ فى جيبه صندوق السجائر .. !

ثم دنا من النافذة وهو يقول :

— والآن يجب أن أنصرف .. انى أعرف طبعا أن القاضى ناتير يحب أن يستبقنى أكثر من ذلك ليحتفى بى وليحوطنى بترحيبه الصادق ولكننى اخشى أن

فزعج « ماما » لغيابى .. غير انى اعدك بأن ازورك فى وقت قريب واطفىء لهيب الشوق الذى يتأجج فى صدرك ..!

ثم التفت الى المفتش فرناك وقال :

— ولا ضرورة ياعزيزى فرناك لان تسرع الى النافذة لكى تلوح لى بيدك مودعا .. ! فلك ان تلوح الان بيدك كما تشاء .. ولا تنسى أن فى مسدسى ست طلقات .

وتخطى تمبلار حافة النافذة ووقف على نتوء الجدار وقال :

— وداعا .. !

ثم توارى عن الانظار .

ولم يحاول المفتش فرناك ان يلحق به ، بل لبث مكانه مرسلا بصره الى الظلام الذى يشمل الارض خارج النافذة .

ثم علت شفتيه ابتسامة خفيفة وقال :

— هذا رجل يمكننى أن احبه .. !

فتجهم وجه القاضى ناتير وصاح قائلا :

— يمكنك أن تخرج انت ايضا .. ولكنك ستسمع عن ذلك فيما بعد .

فقال فرناك فى برود :

اما أنت فستسمع عنه الان .. !

وكانت فى صوته نبرة تهديدية جعلت القاضى يلوذ بالصمت .

وتكلم فرناك .. ولم يكن الحديث طويلا ، اذ كان المفتش أشبه برجال الاعمال الذين يؤثرون الايجاز والاقتضاب .. ولم يحاول اثناء حديثه أن ينتقى كلمات رقيقة أو أن يتلطف فيما يقول بل افضى بما فى نفسه مستعملا اقسى التعابير وأشدها وقعا فى النفس .

ولما غادر القاعة كان قد ترك وراءه القاضى ناتير يرتعد ويرتعش وهو ممتقع الوجه .

وبعد ثلاث دقائق من خروج سيمون تمبلار من النافذة كان فرناك يخرج من باب البيت ويصعد الى سيارته الواقفة عند الافريز فيرتمى على المقعد ويوصد الباب فى شدة وغضب .

وعلى حين فجأة سمع الى جانبه صوتا يقول :

— ارفع يديك .. ! اننا ذاهبان للنزهة معا .. !

وكان هذا صوت سيمون تمبلار ..

● ● ●

لم يكد المفتش فرناك يسمع هذه الكلمات حتى فغر فمه ذهولا .

عندما خرج من بيت القاضى ناتير كان منهمكا فى التفكير فى ذلك الحديث الذى دار بينه وبين القاضى فصرفته خواطره عن التنبيه الى اقتراب سيمون تمبلار من السيارة وفتحه الباب فى خفة وصعوده اليها .

وفضلا عن هذا فلم يخطر له ببال أن تمبلار لا يزال موجودا فى المكان اذ المفروض انه اغتنم فرصة افلاته ناجيا من النافذة وانطلق راكضا بملء سرعته .

ولكن ها هو ذا لم يهرب . وها هو ذا لم يركض .. بل لقد كان جالسا الى جواره ومسدسه مثبت فى جنب المفتش فرناك .

وقال فرناك متسائلا :

— ما غرضك من هذا ؟

— سنتنزه معا .. انى اريد ان اتحدث اليك واغلب ظنى انك مثلى راغب فى التحدث الى فاذهب بنا الى اى مكان شئت .

وتقلص وجه المفتش ولاح عليه انه يغالب تلك الثورة

المصطخبة في أعماق نفسه .. انه رجل جلاد وكفاح وما اعتاد أن يحني هامته أمام انسان - ولكن ها هو ذا تمبلار يصدر اليه أمره مرة بعد مرة .. لقد هزمه في بيت القاضي . وها هو ذا يهزمه للمرة الثانية .

وللصبر حدود .. وللكرامة حق على الانسان .

ولكن فرناك ما لبث أن كظم ما بنفسه وقال في صوت ليست فيه نبرة واحدة تدل على الغضب :

- اتحب أن تذهب الى الحديقة .. ؟

- كما تشاء .

وانطلق المفتش بسيارته وهو صامت لا يتكلم .

وبعد فترة من الوقت قال تمبلار :

- لقد كلت يدي بحمل هذا المسدس .. فهل ترى ضرورة للاستمرار على ذلك .. الا يحسن بنا أن نتصافى .

فقال فرناك مجيبا :

- لا مانع عندي .

ووضع تمبلار مسدسه في جيبه وقد ايقن ان في وسعه ان يعتمد على شرف هذا الشرطي .

ولما انتهت السيارة الى سنترال بارك أوقفها المفتش في مكان منعزل والتفت الى تمبلار وقال :

- والآن ما هي لعبتك .. ؟

فكان جواب تمبلار :

- انها نفس لعبتك .. انك تعمل في حدود القانون . أما أنا فاعمل خارج حدود القانون .. لكل منا طريق خاص يسلكه ولكن الهدف واحد .. ويلوح لي أن طريقي اقصر واسهل .

فارسل فرناك بصره الى الطريق وقال :

- اني اعلم ذلك .. ولهذا لم أحاول أن أمد اليك يدا

.. لقد كنت في هذا الصباح أتحدث الى مدير البوليس وأقول له اني سأحب اي شخص يخلصنا من هذا الفأر الحقير اربول .. ولكنك لن تفلت طويلا من العقاب .

- كن مطمئنا . فالافلات مهنتي التي تدربت عليها سنوات طويلة .

فقال فرناك في لهجة تنم عن الاسى :

- اما مهنتي فتقضي علي بان اقبض عليك وانتزع منك اعترافا وارسلك الى المحكمة .. وقد افعل هذا غدا فاحذر لنفسك . اني لا اجهل نواياك الطيبة ولكنك على الرغم من هذا لا تزال في نظر القانون مجرما لابد من القبض عليه .. ان هذه المدينة تعج بابناء العالم السفلي فلا ضرورة لان تزيدهم واحدا .. نعم اني أحبك ولكن واجبي قبل كل شيء .

فقال سيمون تمبلار :

- اني أحمد فيك هذه الصراحة .. ولكن ارجوك ان لا تنسى ان عندي كذلك واجبا ينبغي ان اؤديه .. لقد حضرت الى هذه المدينة لانظفها من السفاحين .. وانت تريد أن تقبض علي فهل افهم من ذلك انك لا تقرني على خطتي .. ؟

فقال فرناك في خشونة :

- قلت لك ان واجبي فوق كل شيء .

- حسنا .. ولكن دعني على الاقل أوجه اليك سؤالا

- سل ما بدا لك .

- من هو الرفيق الكبير .. ؟

فاخرج فرناك سيجارا فقضم طرفه بأسنانه ثم قال :

- ليتني أعرف .. ! ان زعماء العصابات يتخذون لانفسهم هذه الالقاب الرنانة الطنانة ليستمدوا منها ما يبث الشجاعة في نفوس اعوانهم وهذه مسألة نفسانية

معروفة .. للاسم الضخم دوى يترك اثرا لدينا من زعماء العصابات . من يسمى نفسه « الوالد الكبير » أو « القنبلة » أو « المدفع » الى غير ذلك من الاسماء الجوفاء .

ـ اذن فانت لا تعرف هذا « الرفيق الكبير » ؟

ـ كلا .. انه رمز لرجل مجهول .. رمز لذلك الرجل الذي يحرك العصابة الدموية التي تزعمها موري والينو ودالتن كيلمان وماك جير .. انه اكبر من هؤلاء جميعا واكثرهم سطوة ونفوذا . انه الرجل الذي نصب من نفسه ملكا .. للعالم السفلي .. ولكن أين سمعت باسمه ؟

فابتسم تمبلار وقال :

ـ كنت استرق السمع .. انها رذيلة سيئة من رذائلي .

ـ اين .. ؟ عند القاضي ناتير .. ؟

ـ حسن كما تشاء ..

وجذب فرناك نفسا طويلا من سيجارته جعل طرفها يلتمع في الظلام كأنه جمرة ملتهبة .

ثم قال في صوت متهدج :

ـ اصغ الي .. اني لن اكذبك في حرف واحد مما تقول عن رجال البوليس أو عن القضاة في هذه البلاد .. لقد مضت سنوات والعدالة مهيضة الجناح .. لقد مضت سنوات الحكم للحديد والنار لا للعدل والقانون .. ولكن سيأتي يوم اظفر فيه بهؤلاء الوحوش واقتص منهم ولو كانوا في حماية اكبر القضاة .. واذا كانت هذه الجملة التي ذكرتها لي قيلت للقاضي ناتير فهذا دليل بين على أن له بتلك العصابة الدموية صلة وثيقة .. فسأظل طول عمري ابحث وانقب حتى اكتشف سر هذه العلاقة واقيم الدليل عليها .

ـ ولكن ما معنى هذه الجملة .. ؟ ولماذا يكون الرفيق الكبير في حاجة الى القاضي ناتير .. ؟

فقال فرناك في صوت ينطوي على المرارة :

ـ انك لا تعرف الكثير من نظمنا ولوائحنا .. فاصغ الي .. من المحتمل جدا ان تلك العصابة تنوي أن تقوم الليلة بعمل ما ومن المحتمل ايضا أن يقع بعض افرادها في ايدي البوليس فيساقون الى التحقيق .. وللتحقيق عندنا اساليب تختلف عن الاساليب المتبعة في بلادكم .. هناك يسألون المتهم فيجيب أو لا يجيب .. اما هنا فتضربه لكي يجيب .. تدخل به الى القاعة الخلفية المسماة بقاعة التعذيب وهناك يعذب بهراوة من المطاط تؤلمه أشد الايلام ولكنها لا تترك اثرا في البدن .. وصدقني ان هذا هو القصاص الوحيد الذي ينزل بهؤلاء الوحوش .. ولكنهم لا يرضون به .. فيسرع المحامون الى قضاة من امثال ناتير لكي يستصدروا منه امرا بالافراج قبل أن تبدأ عملية التعذيب .. فاذا كانت العصابة قد طلبت الى القاضي ناتير ان يلزم داره في تلك الليلة فهذا دليل على أنهم يبيتون النية على القيام بجريمة جديدة وانهم يخشون ان يقع بعض رجالهم في ايدي البوليس فيكونون في حاجة الى ناتير ليصدر أوامر الافراج .

فهز تمبلار رأسه وقال :

ـ فهمته ..

ونظر اليه فرناك وقال مستفسرا :

ـ ومن الذي أصدر هذا الامر ؟

ـ لا ادري .. لقد جرى الحديث بالتليفون .

كان تمبلار يعرف أن فاي هي التي أصدرت هذا الامر نقلا عن « الرفيق الكبير » ولكنه كتم هذه المعلومات عن

فرناك على رغم عطفه عليه حتى لا يتيح له فرصة للسبق عليه . وساد الصمت برهة ثم قال فرناك متسائلا :

ـ ما الذى دعاك الى زيارة ناتير ؟

فابتسم تمبلار وقال :

ـ لقد وجهت اليك هذا السؤال من قبل فلم أحظ بالجواب .. ولكنني لن اكرره لانى وقفت تحت النافذة وسمعت ما دار بينكما . فحملق المفتش فى تمبلار وقال فى دهشة : وقفت تحت النافذة ؟

ـ نعم .. الم اقل لك انى من رذائلى الولع باستراق السمع .؟

ـ ولكنى كنت احسبك قد انطلقت هاربا . !

ـ ان الجرى فرارا من رجال البوليس يليق بروايات شارلى شابلن ولكنه لا يليق باسمي وكرامتي .. وصدقنى انى كنت شديد الاعجاب بك وانا اصغى الى الكلمات التى كانت تتدفق من فمك فى اذنى القاضى ناتير .. ان لك أسلوبا غاية فى البلاغة . !

فقال المفتش فرناك منزجرا :

ـ كان ينبغى أن أصارحه بكل ما يجول فى نفسى .. لقد أفرج عن اربولد الدنيا بأسرها تعلم انه هو القاتل .. انى اعلم انى كنت شديد الوطأة على ناتير واعتقد بتمكنه بنفوذه من نقلى الى منصب حقير .. ولكنى لا ابالى .. حسبى راحة البال .

وساد الصمت فترة من الوقت ثم تكلم فرناك قائلا :

ـ ان السياسة هى التى افسدت القضاء فى هذه البلاد .. هناك جماعة سياسية منظمة تسمى نفسها جمعية « تاماني » ورئيسها رجل يدعى روبرت أزكريد ولهذه الجمعية وسائل بارعة فى الدعاية الانتخابية حتى يمكن أن يقال أنها تقبض بيد من حديد على الناخبين وتحركهم

كيف شاءت . فمن تتقدم هذه الجماعة لمعاونته يضمن لنفسه الفوز فى الانتخاب . وهذه الجمعية انما تعتمد فى تحقيق اغراضها على فئة من المجرمين يلجأون الى الارهاب والتهديد .

وهناك أيضا النائب العمومى المسمى ماركوس بيلبو وهو رجل خرب الذمة لا يرسل القضايا المهمة الا الى قضاة من أمثال ناتير . ولعلك لا تجهل ان القضاة هنا ينتخبون مرة فى كل عام . فاذا ما عرضت امام احدهم قضية كبيرة راح يسائل نفسه هل للمتهم علاقة باحد رجال السياسة ؟ وهل لذلك السياسى نفوذ فى دوائر الحكومة . فاذا كان الامر كذلك ضمن المتهم البراءة وضمن القاضى تجديد انتخابه فى العام التالى . والويل للقاضى الذى يرسل الى السجن متهما له سند بين رجال السياسة ذوى النفوذ .

وهناك مسألة أخرى هامة وهى ان السياسيين هم الذين يعينون مديرى البوليس .. فاذا امروهم بان يفتحوا عيونهم فتحوها .. واذا امروهم بان يغمضوها اغمضوها .. ولعل غلطتهم الوحيدة انهم عينوا فى هذا المنصب مديرنا الحالى كيتروم فهو رجل عنيد يأبى ان يتلقى أمرا من احد وقد استطاع فى خلال السنوات القليلة التى تولى فيها منصبه ان يظفر بحب الناس وتأييدهم له حتى لم يعد السياسيون يجرأون على فصله من عمله والا انبروا ضدهم الجماهير والغوغاء .. ولكن الفائدة قليلة محدودة فان كيتروم يقدم المتهمين والادلة الى النائب العمومى ماركوس بليد وامثاله والى القاضى ناتير وامثاله .. فتكون النتيجة هدم الادلة والافراج عن المتهمين .

نعم يا مسيو تمبلار .. ان فى هذه المدينة جماعة من

المجرمين يمرحون ويعيشون فى البلاد فسادا دون أن يخشوا القصاص لان السياسيين يحمونهم من سطوة القانون .. ولذلك فشا الخطف والقتل والابتزاز بالتهديد وكل موبقة ورذيلة .. « والرفيق الاكبر » انما يهتم بنوع خاص بالخطف وهى مهنة جزيلة الربح مضمونة الفائدة .. وتصور نفسك فى موقف رجل خطف ابنه أو أخوه أو زوجته أو أخته .. الا ترضى عن طيبة خاطر بأن تفتديه بأى قدر من المال مهما عظم ؟

فأحنى تمبلار رأسه مؤمنا .

ثم قال فجأة :

ـ ومن هو بابيلوس ؟ .

ـ انك فيما أرى تعرف أشياء كثيرة .. بابيلوس هو الذى يتولى حساب الدخل والتصرف باسم والينو .. اعنى انه أمين الصندوق .

ـ ومن هو والينو ؟

ـ انه من زعماء تلك العصابات الدموية .. رجل متأنق فى ملبسه يصفف شعره ويدهنه بشتى الزيوت والادهان .. انه يعتقد فى نفسه انه رودلف فالنتينو الثانى . ولكنه لا يخرج من داره الا فى سيارة مقفلة مصفحة .. ولا يمشى الا وفى ظله حارسان مدججان بالسلاح !

ـ أليست له مهنة يزاولها ؟

ـ نعم .. انه يدير ناديا من أكبر اندية القمار فى برودواى .. وقد دهمت ناديه مرتين أو ثلاثا ولكن الامر صدر بالافراج عنه حتى قبل أن يبلغ باب السجن .. فاذهب اليه يا صديقى واقتله اذا شئت فلن ألومك .

ـ وأين أجده ؟

فأجاب فرناك فى هدوء :

ـ حانة شارلى .. بالشارع رقم ٤٩ وهناك أيضا فتاة تدعى ذاى ادواردس يمكنك ..

وبتر المفتش جملته اذ ارتفع فى هذه اللحظة صوت ثالث صادر من جهاز الراديو المثبت فى السيارة .

وكان الصوت الآلى يقول :

ـ النداء لجميع السيارات .. النداء لجميع السيارات .. فيولا وعمرها ست سنوات اختطفت من منزلها فى ميدان ساتون ..

واعتدل فرناك فى مقعده وتصلبت عضلات وجهه وهتف قائلا :

ـ اذن فقد ارتكبوا جريمتهم .. !!

واستمر الصوت الآلى قائلا :

ـ هرب الخاطفون فى سيارة مقفلة بنية اللون .. الارقام الثلاثة الاولى هى خمسة .. خمسة . ثلاثة أو خمسة .. خمسة . اثنان . المفتش فرناك مطلوب ليتولى التحقيق .. المفتش فرناك مطلوب ليتولى التحقيق .. النداء لجميع السيارات ..

وهب سيمون تمبلار واقفا وهو يقول :

ـ شكرا لك .. وداعا .. هذه مهمتك ولا شأن لى بها .

وقفز الى الارض فى الوقت الذى انطلقت فيه السيارة بأقصى سرعتها تلبية لنداء الواجب .

واشعل تمبلار سيجارة وجذب منها بضعة أنفاس ثم أخرج من جيبه ورقة صغيرة هى تلك الرقعة التى كورها القاضى ناتير والقاها فى سلة المهملات .

ونظر تمبلار فى الورقة وقرأ فيها للمرة الثانية نفس الجملة التى سبق أن قرأها من قبل :

« شكرا ــ بابيلوس »

وكان واضحا أن هذه الرقعة أرفقت بالعشرين ألف دولار التي أرسلها بابيلوس الى القاضي ذاتير · أما الشكر فكان راجعا بطبيعة الحال الى تبرئته السفاح اربول

وقال تمبلار في نفسه :

ــ لقد ثار قربان الطريق ·· انتهينا من ذاتير فلم يبق الا بابيلوس ·· ثم مودى والينو · واخيرا نصل الى الرفيق الكبير ·

الفصل الثالث

صعد سيمون تمبلار الى الطابق الاخير من فندق استوريا بواسطة المصعد الخاص فالفى فالكروس فى انتظاره · فارتسمت على شفتى الشيخ العجوز ابتسامة تدل على الاطمئنان وقال :

ــ يسرني انك عدت يا تمبلار فقد بدأ القلق يسرى الى نفسى ·

ــ لقد تأخرت حقيقة أكثر مما كنت أتوقع · فقد دعوت المفتش فرناك الى نزهة قصيرة ·

ولمعت عيناه ابتهاجا وهو ينظر الى امارات الاستغراب التي بدت على وجه فالكروس ·

واعد تمبلار لنفسه أقداح الشراب واشعل سيجارته وهو يقول :

ــ لعمرى انى لادهش لكم معشر الامريكيين · ان سجائركم قبيحة المذاق تغثى لها النفس ·· وانى لا سائل نفسى كيف تطيقون تدخين هذه الانواع التي تغمر الاسواق ·· هل هي دخان حقيقة أم خرق بالية فرمت وحشيت بها اللفائف ··؟

فابتسم فالكروس وقال :

ــ اذا كنت تنوى أن لا تحدثني الا عن السجائر فاولى بى أن أعود الى كتابي

ــ اذن اصغ لى ···

وأنشأ تمبلار يحدث المليونير العجوز عن تفاصيل المغامرة التي قام بها · واختتم حديثه بقوله :

ــ يظهر أن لا خطر فى أن يؤخذ الانسان الى نزهة صغيرة .. لقد اخذت فرناك واعدته سليما معافى . ولذلك صح عزمي على أن اجعلهم يأخذونني الى نزهة صغيرة ·

فقال فالكروس ناصحا :

ــ ولكن نزهتك ستكون من طراز آخر · ستكون نزهة قتالة · !

ــ فليكن . فاني لست ابالى . ان هذه المجازفة هي الوسيلة الوحيدة الكفيلة بأن تدنيني من الغاية التى انشدها ·

وساد الصمت برهة ثم أردف تمبلار قائلا :

ــ ليت شعرى هل تحجرت القلوب حتى يمد الانسان يده الى طفلة صغيرة بريئة فيختطفها او يباعد بينها وبين اهلها . ! ومن اجل هذا اذن استبقوا القاضي ذاتير فى داره حتى يأمر بالافراج عمن يقع منهم فى أيدى رجال البوليس .

وهب تمبلار واقفا وهو يقول :

ــ انى خارج ·

فنظر اليه فالكروس مستفسرا ثم قال :

ــ ولكنك ارهقت نفسك اليوم بالعمل فيحسن بك ان تستريح فهز تمبلار رأسه فى حزن وأسى وقال :

ــ وكيف تطيب لى الراحة وأنا أعلم ان فى ميدان

صاقون رجلا مسكينا يمزق الحزن قلبه قلقا على طفلته التى اختطفها هؤلاء الوحوش سأجعلهم يأخذونني الى تلك النزهة في هذه الليلة بالذات .!

ونظر اليه فالكروس في اعجاب وقال :

— لو ان الايام ارتدت بى الى الوراء عشرين سنة لتأبطت ذراعك واصحبتك الى هذه المعركة .

فوضع تمبلار يده على كتفه في رفق وهو يقول :

— شكرا لك .. ان « الجميلة » تجعلنى فى غنى عن المساعدة .

اما « الجميلة » فلقيطلقه تمبلار على تلك المدية التي يشدها الى ساعده والتى طالما نفعته فى المواقف الحرجة . فاذا ما فتش أعداؤه جيوبه وجردوه من مسدسه استعان عليهم « بالجميلة » التى لا يكاد أحد يفطن الى وجودها .

وبعد ربع ساعة كان سيمون يدق الجرس المثبت بباب حانة شارلي وبعد لحظات فتحت كوة صغيرة فى الباب وظهر من خلالها وجه دميم تعلوه عينان تشمان بالخبث والدهاء .

ولكن تمبلار كان أخبث وأدهى من حملت الارض ولذلك قال فى جراة وثبات :

— انني ادعى سيمون . وقد ارسلتني فاى ابواردس .

فهز حارس الباب رأسه وقال :

— ان فاى لم تحضر بعد . فهل تحب ان تنتظرها .؟

— نعم .. ويمكننى أن أشرب قدحا من الخمر ريثما تاتى .

ولم يكن فى هيئته ما يثير الريب . ولم يكن فى صوته ما يحرك الشكوك فلم تمض لحظات حتى فتح الباب ليستقبل عدو القتلة والمجرمين .

وعلق تمبلار قبعته على الشماعة وعبر الردهة الصغيرة الى القاعة التى يشغل البار الجزء الاكبر منها .

وكانت الموائد منتشرة فى ارجاء المكان وقد جلس اليها جماعة من النساء والرجال كتب على وجوههم انهم من رجال العصابات السفاحين . الذين يريقون الدماء بنفس البساطة التى يريقون بها قدحا مملوءا بالماء !

وشمل تمبلار الحاضرين بنظرة خاطفة ثم استوى على مقعده أمام البار وأمر الساقى بأن يعد له كاسا .

وافرغ تمبلار كاسه فى جوفه دفعة واحدة ثم قال يخاطب الساقى :

— ما اسمك يا بنى .؟

فنظر اليه الرجل بعينين مغمضتين وقال :

— انى أدعى تونى ..

وأنا أدعى سيمون . من مدينة ديترويت .

فانحنى الرجل رأسه وتفرس فى تمبلار وقال مرددا :

— من ديترويت ؟

— نعم .. وهم يلقبوننى بالاخضر . نسبة الى المائدة الخضراء لانى أقضى ليلى ونهارى فى لعب القمار .. وقد سمعت ان فى هذه المدينة لاعبين يعرفون كيف يتذوقون اللعبات الكبيرة .

— ماذا تريد ؟ .

فتفرس تمبلار فى الساقى بنفس النظرات الثاقبة التى كان هذا يتفرس بها فيه . ثم قال فى كلمات بطيئة :

— اريد أن ألعب .. اريد أن ألعب مع موري والينو

فقال الساقى :

— يجب أن أستشير الرئيس أولا

ثم دار على عقبيه وتوارى خلف ستار مسدل على باب يقع في مؤخرة الجدار .. !

وبعد بضع دقائق ظهر الساقي ثانية وقال يخاطبه :

- موري واليتو لا يلعب الليلة .. بابيلوس هو الذي يلعب فهل تريد أن تشترك ؟

ولم يكن تمبلار يتوقع أن تمهد له الاقدار أن يتصل بواليتو في أول مرة .. ولذلك رأى أن يقنع بمقابلة بابيلوس فانها خطوة لا بأس بها على أية حال . وفضلا عن هذا فقد غلب على ظنه ان واليتوا كان منهمكا في تلك الليلة في مسالة الطفلة فيولا اتسلهيم .

ولكنه هز كتفيه وقال في غير اكتراث :

- لقد جئت لألعب بالألوف لا بالسنتات . من هو بابيلوس هذا ؟ فاني لم أسمع عنه .

فابتسم توني وقال :

- ان بابيلوس لن يضن عليك باللعبات الكبيرة .. وفي وسعك ان تقابل واليتو فيما بعد .. فهل تريد أن تذهب الى النادي .. ؟

فهز تمبلار كتفيه في غير اكتراث وقال :

- فليكن .. فليست لدي تسلية أخرى .

وهمس توني يقول :

- اذهب الى عمارة جريلاند في الشارع الخلفي واصعد الى الشقة رقم ١٧١٢ وانبئهم بان شارلي كوين هو الذي أرسلك .

- شكرا لك .

وخرج تمبلار من الحانة وذهب مسرعا الى عمارة جريلاند وركب المصعد حتى باب الشقة رقم ١٧١٢ .

ولما دق الجرس تحرك الباب مسافة لا تزيد على ثلاثة

بوصات ورأى تمبلار عينين تنظران اليه وتفحصانه من قرعه الى أخمص قدمه فقال :

- ان اسمي سيمون .. وشارلي كوين هو الذي أرسلني .

فقال صاحب العينين الفاحصتين :

- سيمون .. ؟ من دانفر .. ؟

- كلا .. من ديترويت .. وهم يلقبونني بالاخضر نسبة الى المائدة الخضراء .

فأحنى الحارس رأسه وفتح الباب وهو يقول :

- ادخل يا أخضر .. اذا كنت تبغي اللعبات الكبيرة فستجد هنا اللعبات الكبيرة .. !

وكان تمبلار ينشد اللعبات الكبيرة .. ولكنه كان ينشدها بمعنى آخر لم يخطر لحارس الباب على بال !



اقتاد الحارس سيمون تمبلار الى قاعة كبيرة تتوسطها مائدة خضراء انتظم حولها اللاعبون وهم منهمكون في اللعب لا يكادون يلقون بالا الى من يخرج أو يدخل .

وقال الحارس معلنا دخول الزائر :

- سيمون الملقب بالاخضر من مدينة ديترويت .. انه يبحث عن لعبة كبيرة .

ونظر اللاعبون الى زميلهم الجديد واحنوا رؤوسهم يحيونه في حركات مقتضبة ثم رجعوا سريعا الى ما كانوا فيه .

وسحب تمبلار مقعدا وجلس في مواجهة اللاعب الذي يتولى توزيع الورق .

واشعل سيجارته واخذ يتفحص وجوه الحاضرين .

وكانت وجوها شريرة تدل على أن أصحابها لايعيشون الا

غارقين فى السماء • انهم ملوك وسادة ولكن فى العالم السفلى •

وتكلم الرجل البدين وهو ينفث من فمه حلقة طويلة من دخان سيجاره الضخم :

– اذن فانت تبحث عن اللعبة الكبيرة •• ستجد بغيتك هنـــا •

وابتسم تمبلار وقال وهو ينظر الى الاوراق المالية المكدسة على المائدة :

– يظهر يا أخ انك لا تعرف ما هى اللعبة الكبيرة ••

وقطب الرجل جبينه ثم قال :

– انا لا أعرف ما هى اللعبة الكبيرة ! اذن ما هو المبلغ الذى تبغيه يا مستر سيمون ؟ وأى لون تختار ؟

فابتسم تمبلار وقال :

– المبلغ عشرون الف دولار •• واللون هو الأزرق

ولم يكد تمبلار ينطق بهذه الكلمات حتى ساد السكون على الغرفة وتعلقت به الانظار . فعلى الرغم من ان هؤلاء اللاعبون لا يقيمون للمال وزنا الا انهم لايجهلون ان عشرين الف دولار مبلغ لا يستهان به .

ورفع الرجل البدين – الذى لـم يكن الا بابيلوس – حاجبيه وقال :

– هل لك فى أن ترينا ما معك •• أم المبلغ مودع فى بنك انجلترا ؟

فقال تمبلار :

– بل انه فى جيبى •

ومد يده فى جيبه واخرج رزمة من الاوراق المالية التى سرقتها من القاضى ناتير فالقاها على المائدة وهو يقول فى لهجة تنطوى على التحدى :

– هاك هو المبلغ • !

ولكن رزمة الاوراق المالية لم تكن هى الشىء الوحيد الذى استقر على المائدة الخضراء • وانما استقرت الى جانبها ورقة صغيرة كانت مشتبكة فيها •

اما هذه الورقةفلم تكن الا الرقعة التى كتبها بابيلوس الى القاضى ناتير وأرفقها بالعشرين ألف دولار • !

ولم يخرج تمبلار هذه الورقة عفوا • وانما تعمد أن يضعها تحت أنظار بابيلوس •• ولكنه تظاهر بالخوف حين رآها على المائدة وهم بأن يلتقطها ليردها الى جيبه •

ولكن بابيلوس كان قد استطاع ان يقرأ الكلمات المكتوبة عليها فصاح قائلا فى لهجة تهديدية :

– انتظر لحظة . !

واختطف الرقعة قبل أن تصل يد تمبلار اليها •

وتطاير الشرر من عينى بابيلوس وصاح قائلا :

– من أين جئت بهذا المال ؟

فنظر اليه تمبلار فى غير اكتراث وقال :

– ولكنها ليست أوراقا زائفة • انك أنت الذى دفعتها بنفسك فقال بابيلوس فى برود :

– انى أعرف ذلك • ولكنى لم أدفعها اليك •

وأومأ برأسه ايماءة خاصة لم يغب معناها عــن تمبلار • فلم تمض لحظات حتى ألفى نفسه أسيرا بين رجلين من سفاحى العصابة يصوبان اليه المسدسات ويمسكان بذراعيه حتى يمنعاه من المقاومة •

وأمر بابيلوس أعوانه بأن يذهبوا بالاسير الى الغرفة المجاورة ثم لحق بهم وأوصد الباب وقال له فى صوت غاضب هائج :

— من أين أتيت بهذه الاوراق ؟

فصاح تمبلار فى صوت لا يقل غضبا وهياجا :

— هذا ليس من شأنك .

ورفع بابيلوس يده فى حركة سريعة ولطم تمبلار على وجهه .. !

ولقد هم تمبلار بأن ينقض عليه ولكنه كظم ما بنفسه لأن الاشتباك مع بابيلوس كان كفيلا بأن يفسد الخطة التى دبرها .. لقد تعمد أن يجعلهم يقبضون عليه لغرض فى نفسه .. فمن الحماقة أن تثيره هذه اللطمة الحرجة تجعله يهدم بيديه ما بناه .

وأخرج اليونانى مسدسين من جيبه وصوبهما الى تمبلار وهو يقول :

— قلت لك من أين أتيت بهذا المال .. ؟ تكلم والا فأنت الجانى على نفسك .

فقال تمبلار بصوته الهادىء :

— لقد عثرت عليه فى جيب بنطلونى .

فصاح أحد الحراس قائلا :

— تكلم .. هل أنت مجنون .. ؟

— ولكنى تكلمت .. ألم أقل لكم انى عثرت عليه فى جيب بنطلونى ؟ .

ورفع بابيلوس يده وهم بأن يلطم تمبلار للمرة الثانية ولكنه ما لبث ان ردها وهو يقول :

— انى لست فى حاجة الى جوابك .. سأعرف المكان الذى جئت منه بهذه الاوراق .

ومشى الى التليفون الموضوع على طاولة فى ركن الغرفة وادار رقما معينا ولما تم الاتصال قال :

— اهذا أنت يا حضرة القاضى .. ؟ انى بابيلوس .. اصغ الى .. لدى هنا فرد معه عشرون ألف دولار

ورقعة صغيرة من الورق ..

وأخذ وجه بابيلوس يتصلب ونظراته تشتد وهو يصغى الى ما يفضى به اليه القاضى تاشير .

وأخيرا رد السماعة الى مكانها وتحول تمبلار وعيناه ترميان بالشرر .

ثم قال فى لهجة ساخرة :

— اذن فاسمك مستر سيمون ؟! .

فاحنى تمبلار رأسه وقال :

— هذا هو الاسم الذى تدللنى به أمى . أما خارج البيت فينادوننى باسم تمبلار .. سيمون تمبلار !

فهز بابيلوس رأسه وقال :

— اذن فأنت سيمون تمبلار ! انت الفأر الحقير الذى قتل أربول .. ! اذن فأنت البطل العظيم الذى سينظف نيويورك .. !

وضحك اليونانى ضحكة خشنة رهيبة كأنها صادرة من أعماق الجحيم وقال مسترسلا :

— مرحبا بك تمبلار .. !

ثم دار على عقبيه وأصدر الى الحارسين تعليماته .

ولم يسمع تمبلار كل ما قاله لهما .. ولكن الكلمات القليلة التى وصلت الى أذنيه جعلته يبتسم اغتباطا اذ أدرك ان خطته قد نجحت .. لقد تركهم يقبضون عليه لانه يريد أن يصل الى مورى والينو .. وهاهو ذا بابيلوس يأمر الحارسين بأن يذهبا به الى والينو .. وكان تمبلار يعتقد انه سيجد عند والينو الطفلة المخطوفة : فيولا انسلهيم .. !

وصاح به أحد الحارسين قائلا :

— هيا بنا .

فقال تمبلار محتجا :

— ولكن العشرين الف دولار ٠٠؟ الا تعيدونها الى ٠٠؟

فضحك الحارس الثاني وقال :

— وايه ضرورة لها ٠٠؟ في المكان الذي ستذهب اليه يكفنون الموتى ويدفنونهم دون ان يتقاضوا اجرا ٠٠!

وفتح بابيلوس الباب ووقف عنده ينتظر خروج سيمون تمبلار ولما مر به تمبلار ارتمى عليه فجأة وعانقه وهو يقول :

— وداعا يا حبيبي بابيلوس .. ! سيفرق هؤلاء الاشقياء بيننا ولكني سالفظ النفس الاخير وانا اردد اسمك المحبوب ٠٠!

ودفعه بابيلوس عن صدره وهو يقول :

— ابتعد عني ٠٠!

وابتعد تمبلار بين حارسيه ٠

ولكنه كان قد استطاع قبل ان يبتعد ان ينشل من جيب بابيلوس رزمة الاوراق المالية وهو يعانقه ويدسها في جيبه دون ان يشعر به احد !



ركب تمبلار السيارة بين حارسيه دون ان تجرى له في بال فكرة المقاومة ، ليس خوفا من المسدس المصوب اليه وانما لانه كان ينشد هذه الرحلة ويسعى اليها .. كان يبغي ان يكتشف مقر العصابة ليصل الى الطفلة المخطوفة فيولا انسلهيم ٠٠ وكان موقنا الان انه في الطريق الى هذا المقر ٠

واخذت السيارة تنهب الارض مجتازة شوارع نيويورك حتى خرجت الى الضواحي ولم تقف الا عند بيت يقوم في مكان منعزل يكاد يكون بعيدا عن العمران ٠

وكانت عند الباب سيارة اخرى ٠

وامر تمبلار بالنزول من سيارته وارتقى بين حارسيه درجا صغيرا ودق احد الرجلين الجرس فانفتحت في الباب كوة ظهر وراءها وجه دميم ٠ ولم تلبث ان تحركت المزاليج الحديدية وانفتح الباب ٠

وكان الطابق الارضي مؤلفا من ثلاث غرف جعلت الكبرى منها مشربا للخمر وضعت فيها الموائد واقيمت المقاصير كما هو الشان في البورات التي تتخذها العصابات مقرا لها ٠

وقال احد الحارسين يسال الرجل الذي فتح الباب :

— هل هم في الطابق الثاني ؟ ٠

— نعم ٠٠ وهل هو هذا الرجل ٠٠ ؟

وارسل الحارسان من منخريهما صوتا يشبه فحيح الافعى ٠ ولكن البواب فهم من هذا الصوت انهما يؤمنان ، على ان هذا هو الرجل ٠

وصعد الرجال الثلاثة الى الطابق الثاني فالفى تمبلار نفسه في ممشى طويل اقتيد الى الباب الذي يقع في صدره وامر بالدخول ٠

وكانت القاعة كبيرة المساحة تتوسطها مائدة عليها بقايا الطعام وزجاجات الخمر الفارغة ٠

وكان موري والبنو جالسا على مقعد عند هذه المائدة ٠

وعرفه تمبلار من الاوصاف التي ذكرها له المفتش فرناك ٠ ولكن نظرته ما لبثت ان تحولت واستقرت على الفتاة الجالسة عند المائدة ٠

لم يكن لديه من الاسباب ما يحمله على الاعتقاد بان هذه الفتاة هي فاي التي خاطبت القاضي ناتير تليفونيا .. فاي ادوارضس التي هم المفتش فرناك بان يحدثه عنها حين قطع عليه الراديو حديثه ... ولكن

على الرغم من هذا كان موقنا من انها ناي ... ففي مقر العصابات لا يظهر من الفتيات الا عدد محدود ..! ولو انه سمع صوتها لقطع الشك باليقين . ولكنها كانت صامتة لا تتكلم .

كانت ناي هيفاء القد شقراء الشعر لها ابتسامة جذابة فيها ما يغري ويدير الرؤوس .. وكانت لاتزال في ربيع الشباب لا تعدو الثالثة والعشرين . وما رأى تمبلار وجهها حتى سرت في بدنه نفس النشوة التي شملته حين سمع صوتها في مكتب القاضي فاتير .

وقال سيمون تمبلار طاب مساؤكم .

ولكنه كان يقصد بهذه التحية ناي ادواردس اكثر مما كان يقصد موري والينو .

ولم يجب أحد على تحيته . ولم يكن تمبلار ينتظر شيئا من هذا القبيل

وكان والينو جالسا تحت المصباح الوحيد الموجود في الغرفة وهو يصقل اظافره ويجري عليها الفرشاة .

وقال والينو : لقد كنت متلهفا الى رؤيتك .

فابتسم تمبلار وقال : وما كنت انا لاقل عنك تلهفا.. فكلانا الان سعيد راض .. لقد قيل لي انك غانية نيويورك الحسناء . فارجو أن ترشدني الى الحلاق الذي يجعد لك شعرك .. ولكني انصحك بأن تبحث عن معهد آخر لتجميل الوجوه فان وجهك في حاجة الى عناية كبيرة

وعلى الرغم من هذا الحديث الخفيف الدعابي كان جو الغرفة خانقا مكهربا ينذر بهبوب عاصفة عاتية

وصاح والينو قائلا : ماذا كنت تقول ؟

— كنت اسألك عن بعض النصائح الخاصة بالتواليت . ان أهداب عينيك تذكرني باهداب جريتا جاربو !

وأجرى والينو يده على شعره اللامع وقال : اقترب مني .

— واقترب منه تمبلار ولكن عن غير ارادته لان الحارسين هما اللذان دفعاه الى ناحيته .

ورماه والينو بنظرة شذراء ثم قال : ألم تسمع بالصندوق الساخن ؟

وعلى الرغم منه شعر تمبلار برعدة خفيفة تسري في بدنه فقد سمع من قبل بالصندوق الساخن الذي يعد احدث اختراع اهتدت اليه العصابات للانتقام من خصومها .. ويقال ان آل كابوني نفسه هو الذي اخترعه وجربه للمرة الاولى في أحد رجال البوليس السري الذين وقعوا في قبضته . فمات وهو يتعذب عذابا لم يخطر على بال انسان .

ولكن هذه الرعدة لم تكد تسري في اوصاله حتى تبددت وظلت عيناه كعهدهما ترقبان والينو بنظرات أحد من السيف .

— نعم لقد سمعت بالصندوق الساخن .. فهل اعددته لتجربة في فيولا انسلهيم ؟ .

واشتد الجو الخانق الذي يسود الغرفة وانهمك والينو بضع لحظات في صقل أظافره بفرشة المانيكور . ثم قال أخيرا :

— اذن فانت تعلم بهذا أيضا ! .

فاحنى تمبلار رأسه فقد كانت هذه هي الكلمة التي يبتغيها ليتأكد من ان عصابة والينو هي التي اختطفت الطفلة .. وما من شك في انها موجودة الان في مقر العصابة .. فالخطوة التالية المطلوبة منه هي ان يسعى الى انقاذها .

وقال تمبلار :

ـ انى اعرف طبعا ٠٠ وهذا هو ما جعلنى القى بنفسى فى ايديكم حتى اذا اتيتم بى الى هذا المكان امكننى ان انقذ الطفلة فصاح احد الحارسين قائلا : انه مجنون !

ولم يغضب تمبلار لهذه الاهانة لانه كان يعرف عن نفسه انه مجنون اذا كان الجنون هو انقاذ الاطفال المخطوفين مهما استهدف الانسان للخطر .

وحدجه والينو بنظرة يتطاير منها الشرر وقال :

ـ ما الغرض من مجيئك ؟

فكان جواب تمبلار لقد جئت لكى اقتلك ! ٠

وازداد الجو تكهربا ٠٠ وازدرد والينو ريقه ٠

كان يعرف ان تمبلار اسيره وانه مجرد من السلاح ٠٠ ولكن الرعدة مع هذا سرت فى بدنه وهو يتلقى هذه النظرات الهازئة التى يرميه بها تمبلار ٠

واسترسل تمبلار قائلا :

ـ انك تعرف من انا ٠٠ اننى سيمون تمبلار ٠٠ ولسيمون تمبلار طريقته الخاصة فى تنفيذ العدالة ٠٠ قتلت جاك اريول بعد ظهر اليوم ٠ وساقتلك الليلة ٠٠ اننى اكبر من القانون ٠٠ وعدالتى لن تجد قضاة يعرقلون سيرها ٠٠ ان قضائى مبرم لا مرد له ! ٠

وابرقت عينا والينو وقال متهكما : يظهر انك مغرور بنفسك !

فاحنى تمبلار راسه وقال : نعم ٠٠ انى مغرور بنفسى ٠

وقبل أن يفرغ من هذه الجملة دوت فى الغرفة ثلاث صرخات :

كانت الصرخة الاولى من احد الحارسين لان تمبلار كان وهو يتحدث قد استطاع أن يستل المدية المشدودة الى ذراعه فغرزها فى يد الحارس الذى كان ممسكا به ليمنعه

من الحركة فصرخ الرجل وتخلى عن تمبلار ٠

اما الصرخة الثانية فكانت من الحارس الثانى على اثر اللكمة التى سددها تمبلار الى فكه ! ٠

واما الصرخة الثالثة فكانت من والينو نفسه لان تمبلار مزق بطنه بمديته !

وقد وقعت هذه الحوادث الثلاثة فى سرعة البرق حتى لكانها حادث واحد ٠

وقبل أن ينتبه رجال العصابة الى ما جرى كان تمبلار قد سدد الضربة الرابعة الى المصباح الوحيد الذى ينير الغرفة فحطمة وساد المكان ظلام دامس ! ٠

ووثب تمبلار الى النافذة ٠

وقبل أن يتخطاها الى الخارج شعر بيد تلمس ذراعه ٠٠ فرفع المدية ليضرب بها الضربة الخامسة ! ٠ ولكنه رد ذراعه فى اللحظة المناسبة ٠

لم تحاول تلك اليد ان تقبض على ذراعه ٠٠ بل كان ملمسها خفيفا رقيقا ٠٠ كما سطع انفه عبير عطر شذى ٠٠ وفى نفس الوقت شعر بجسم بارد صلب يحتك بيده ٠٠ فعرف ان هذا الجسم مسدس ٠ فتقبضت عليه اصابعه ٠

وفى اللحظة التالية ابتعدت اليد التى لمست ذراعه وتبدد العطر الذى شمه ! ٠

الفصل الرابع

عندما كان تمبلار اسيرا بين حارسيه ارسل بصره الى الخارج فراى ان سطح الطابق الاول من المنزل قريب من النافذة ٠ فاذا ما تخطاها امكنه فى سهولة ان يستقر فوق هذا السطح ٠

وكان هذا هو ما فعله في تلك اللحظة .. تخطى حافة النافذة ووضع قدميه فوق السطح .. كان الموقف رهيبا حافلا بالمخاطر لان السطح منحدر في زاوية حادة لا تعين على استقرار القدم . فرأى تمبلار ان يرتمي بجسده على السطح ليخفف من تعرضه للانزلاق .. ثم زحف على وجهه حتى بلغ الحافة السفلى للسطح .

وهناك سمع أصواتا صادرة من الحديقة يقول أصحابها :

ـ لابد أنه هرب من هنا ! .

ـ اني أخشى ان يركب السيارة ويهرب بها .

ـ ولكن المفتاح معي . ثم سكنت الاصوات .

ولبث تمبلار مكانه وهو يفكر في الخطة التي ينبغي عليه أن يتبعها .. لم يكن يريد ان يهرب فحسب وانما كان يريد ان ينقذ الطفلة فيولا أنسلهيم

وكان يفكر أيضا في فاي ادواردس .. لماذا دفعت الى يده هذا المسدس ؟ ولماذا حاولت ان تعينه وهو في شدته ؟ وما السبب الذي يدعوها الى الاندماج في هذه العصابة الدموية التي لا ترتوي الا بالدماء . ان على وجهها سيماء الوداعة وفي عينيها جاذبية لطيفة .. فأي دافع يحملها على أن تتصل برجال من هذا الطراز أدنى الى الوحوش منهم الى البشر !

عندما أغمد مديته في قلب والينو اختلس الى الفتاة نظرة خاطفة فلم ير في عينيها رعبا أو خوفا .. بل رأى وميضا غريبا لم يفهم له معنى .

ولم يكن في نية تمبلار طبعا أن يستمر في وضعه هذا طول الليل .. وكان الوثوب الى الارض مستحيلا لبعد المسافة . فما كان منه الا أن تعلق بحافة السطح وتدلى بجسمه في الهواء فاستطاع بذلك ان يرى ان احدى نوافذ

الطابق الارضي مواجهة له .

وكانت الغرفة شبه مظلمة ولكن الضوء كان يشع اليها من خلال الشراعة التي باعلى الباب . فاستطاع أن يرى بعينيه النفاذتين سريرا قائما في ركن الغرفة . وكان سريرا صغيرا لا يصلح الا للاطفال .

فعرف على الفور أن فيولا أنسلهيم نائمة في هذا السرير .

وطوح تمبلار بجسمه في الهواء عدة مرات وهو ممسك بحافة السطح وفي المرة الاخيرة دفع بقدميه زجاج النافذة فانفتحت على مصراعيها وشق سكون الليل صوت الزجاج وهو يتهشم ! .

وفي اللحظة التالية كان تمبلار داخل الغرفة ! .

وايقظت الجلبة الطفلة من نومها فانتصبت جالسة في سريرها وهي تحملق في الظلام فانحنى عليها تمبلار وهو يقول في صوت رقيق :

ـ لقد جئت يا صغيرتي لا عيدك الى بيتك فهل تريدين ان تعودي .. ؟

فأحنت الطفلة رأسها وارتسمت على شفتيها ابتسامة ظريفة فحملها تمبلار بيده اليسرى وأمسك بيده اليمنى المسدس الذي قدمته اليه فاي ادواردس وقال للطفلة :

ـ تعلقي بي يا فيولا .. سنطلق الآن بعض الصواريخ فهل يخيفك الدوي ؟

فهزت الصغيرة رأسها وقالت كلا .. اني أحب الصواريخ .

ـ وسيكون لك ما تحبين .

وكان الباب موصدا فسدد تمبلار مسدسه الى القفل وأطلق رصاصة حطمته ولكنه حين فتح الباب رأى على عتبته جثة رجل غارق في الدماء !

وذلك أن الرجل المكلف بحراسة الطفلة وضع عينه على ثقب الباب حين سمع صوت الزجاج يتهشم لكي يرى ما يجري داخل الغرفة • وفي هذه اللحظة أطلق القديس مسدسه على القفل •

فتحطم القفل •• وتحطم الرجل • !

وابتسم تمبلار وقال يخاطب الطفلة :

ـ هذا هو الصاروخ الاول •• فهل أنت خائفة • ؟

ـ كلا •• ارجوك أن تطلق صواريخ أخرى •

واجتاز تمبلار الممشى مسرعا وهم بأن ينزل الدرج في الوقت الذي بدأ فيه رجال العصابة يصعدون ولكنه كان أخف منهم حركة فوثب فوق رؤوسهم فاذا هو في الردهة السفلى قبل أن ينتبهوا الى ما حدث • ولكنهم انتبهوا حين عاجلهم تمبلار من الخلف برصاصة من مسدسه أردت أحدهم قتيلا • أما الرصاصة الثانية فاطلقها على المصباح الذي يضيء الردهة فانتشر الظلام لولا تلك الشعاع الضئيل الذي يسري الى المكان من قاعة البار •

وتوارى تمبلار خلف سياج السلم في الوقت الذي أخذ رصاص المسدسات ينهال حوله كالسيل الجارف •

وتقريرا للواقع يجب أن نقول أن رجال العصابات لا يجيدون اصابة الهدف • وليست بهم من حاجة على أية حال الى أن يتعلموا الاصابة اذ أنهم درجوا على استعمال مدافعهم الرشاشة • فاذا كان لهم خصم لم يطلقوا عليه رصاصة من مسدس وانما أطلقوا عليه الالاف من الرصاصات تخرج من فوهة المدفع الرشاش كأنها نيران منطلقة من فوهة بركان ثائر • فتنتشر في دائرة قطرها لا يقل عن متر أو مترين • ومن المؤكد أن تصيب رصاصة من هذه الالوف عدوهم المنشود •

ولهذا كان تمبلار مطمئنا الى أن رصاصات المسدسات

التي تطلق عليه ستطيش عن الهدف •

ولكن ما من رصاصة أطلقها تمبلار الا استقرت في جسد أحد رجال العصابة •

وبعد بضع لحظات •• وبعملية حسابية بسيطة عرف تمبلار انه لم يبق من رجال العصابة الا أربعة ورجح لديه أن اثنين منهم خارج المنزل يتولى أحدهما حراسة الباب ويتولى الثاني حراسة السيارتين •

وهمس تمبلار في أذن فيولا قائلا : عليك بالباب وانطلقي هاربة الى الخارج •

وجرت الطفلة الى الباب وخرجت منه فانبعث حارس الباب خلفها فأطلق عليه تمبلار رصاصة أردته قتيلا •

وانطلقت الطفلة تجري في الحديقة وتمبلار لا يزال داخل البيت يتابعها بنظراته ••

ورأى تمبلار شبحا آخر يخرج من الظلام ويجري وراء الطفلة فعاجله برصاصة من مسدسه عرف أنها أصابت الهدف حين سمع صرخة متوجعة وحين رأى شبح الرجل يتوارى بغتة كأنما انشقت الارض وابتلعته • !

وقفز تمبلار قفزة كبيرة جعلته خارج المنزل • فأسرع وراء الطفلة وحملها ووثب الى احدى السيارتين •

كان تمبلار قد عرف من الحديث الذي جرى بين بعض رجال العصابة وهو مختبيء فوق سطح البيت أن مفتاح السيارة التي جاء فيها موجود مع أحد الرجلين •• ولذلك اختار أن يركب السيارة الاخرى المقفلة التي رآها واقفة بالباب عند قدومه وهو يقول في نفسه :

ـ ليت شعري هل أجد مفتاحها فيها •• ؟

وعرف أن الاقدار لا تزال راضية عنه حين وجد المفتاح •

وقبل أن ينطلق بالسيارة سمع خلفه دويا هائلا .. فلما التفت رأى احد رجال العصابة واقفا على عتبة البيت وهو يطلق النار على السيارة من مدفع رشاش .

ولم يخف تمبلار ولم يرتعد لانه كان يعلم أن هذه هي سيارة جودى والينو .. وقد ذكر له المفتش قرناك ان والينو لايركب الا سيارة مصفحة .

وانهالت الطلقات النارية على السيارة دون أن تؤثر فيها .

ولم ينس تمبلار وهو منطلق بها أن يهتف بأعلى صوته قائلا :

ـ وداعا أيها الاصدقاء .. سأرسل باقة من الورد لتوضع على قبور الموتى .. !



أوقف تمبلار السيارة فى ميدان ساتون وأيقظ الطفلة التى كانت راقدة الى جواره وقال لها : أتعرفين بيتك .. ؟

فأومأت الطفلة الى بناء قريب وقالت : هذا هو بيتى .

ـ اذن عودى الى ابيك وقولى له ان سيمون تمبلار هو الذى أتى بك .. سيمون تمبلار .. فهل أنت فاهمة .. ؟

فأحنت الطفلة رأسها وقالت مرددة : نعم .. سيمون تمبلار هو الذى جاء بى .

ثم نزلت من السيارة وانطلقت الى بيتها وتمبلار يشيعها بنظراته .

وبعد ربع ساعة كان فى الطابق الاعلى من فندق استوريا .

وكان فالكروس راقدا فى فراشه يرقب عودته بفروغ صبر فقال له تمبلار : لقد ارجعت نيولا انسلهيم الى بيتها .

فسأله الشيخ العجوز قائلا : وهل قابلت والينو .. ؟

ـ نعم قابلته .. وقد أرسلته فى مهمة صغيرة الى الجحيم .. !

واخرج تمبلار من أحد الادراج ورقة صغيرة كان مكتوبا عليها ستة أسماء وكان الاول منها وهو اسم أربول مشطوبا فتناول قلما وشطب الاسمين التاليين ثم كتب فى نهاية القائمة اسماً جديدا هو « الرفيق الكبير » .!

وهم بان يكتب اسما ثامنا ولكنه تردد برهة قصيرة ما لبث قلمه على أثرها أن كتب هذا الاسم : « فاى الدواردس » ولكنه وضع هذا الاسم بين قوسين ... !

وقال فالكروس يسأله : ولكن من هى فاى ادواردس .. ؟

ـ هذا ما انشد معرفته .. ولكن حسبى أن أقول أن مسدسها هون على أمر النضال كثيرا وجعل كسب المعركة أسهل مما كنت أتوقع وغدا لن يكون للصحف من حديث الا عن هذا الحادث .

وقد أصاب تمبلار فى نبوءته لان الصحف خرجت على الناس فى صباح اليوم التالى واسم تمبلار يشغل صدرها بالخط العريض حتى لقد احمر وجهه حياء وتواضعا وهو يرى أمام عينيه مثل هذه العناوين : « تمبلار ينقذ نيولا .. ! ـ مصرع والينو .. ! ـ تمبلار يقتل اثنين ويجرح ثلاثة . عملية تنظيف واسعة النطاق .. ـ تمبلار يعلن الحرب على العصابات .. ـ تمبلار يقاتل خاطفى الاطفال . الخ » .

كما كانت الصحف ملأى بصور متعددة لنيولا انسلهيم تتوسطها صورة كبيرة لسيمون تمبلار نفسه سره منها أنها تمثله فى وضع جذاب .

ولما فرغ تمبلار من طعامه دنا من النافذة وأرسل بصره الى المدينة .

كانت الشمس مشرقة والسماء صافية والجو منعشا طريفا يغرى المرء بأن يقضى نهاره فى الحدائق والحقول .

ولكن تمبلار لم يفكر فى جمال الطبيعة وانما كان يفكر فى الخطوة التالية التى ينبغى عليه أن يتخذها .

وتناول البطاقة المكتوبة عليها أسماء أفراد العصابة وألقى عليها نظرة عجلى ثم تنهد وقال فى نفسه : ليت شعرى من التالى ؟

ولم يكن تمبلار هو وحده الذى يردد هذا السؤال بل كان يردده معه أفراد العصابة أنفسهم وهم مجتمعون فى احدى الغرف الداخلية بحانة شارلى .

كانوا جالسين الى احدى الموائد يشربون الخمر ويدخنون السجائر ويتبادلون الرأى فى هذا الخطر الداهم الذى هبط عليهم من الجحيم .

وكان هيمى فيلدر لايفتأيقول :انه مجنون .. !

وكان فى ذلك اليوم فخور بانه أحد الرجال القلائل الذين اشتبكوا فى المعركة مع سيمون تمبلار وظل حيا ليروى قصته .. !

ولكن مما يؤسف له أنه كان عى اللسان قليل الفصاحة لا يجد من حسن البيان ما يعينه على اجادة الوصف .

وقال هيمى فيلدر يصف ما حدث : كلما وجهنا اليه سؤالا لم نظفر بالجواب .. من أين لك هذا المال ؟ من أين جئت بهذه الاوراق .. ؟ وهو صامت لا يجيب .. فما كان من بابيلوس الا أن لطمه على وجهه واتصل بابيلوس بالقاضى تاتير فعرف منه ان المال سرق منه وأن السارق هو سيمون تمبلار .. وأمرنا بابيلوس بأن نذهب به الى مودى والينو الذى كان فى المقر العام مع فيولا .. أن

تمبلار مجنون .. نعم انه مجنون .. لقد جعل يتهكم على والينو ويهزأ به .. وانتم تعلمون ان والينو لا يطيق ان يهزأ به أحد .. ولكن تمبلار استمر فى تهكمه لانه مجنون .. وفجأة استل مديته وطعن بها ذراعى .. ثم أغمدها فى بطن والينو وبعد ذلك ضرب المصباح بمقبضها فاطفأه وفى الوقت الذى كنا نبحث عنه كان قد دخل الى غرفة الطفلة واتخذها .. وكان معه مسدس لا أدرى من أين جاء به فأخذ يطلقه علينا ثم قفز الى سيارة والينو المصفحة وهرب بها .. انه مجنون .. نعم انه مجنون .

وأفرغ كأسه فى جوفه دفعة واحدة وعاد يقول :

ــ نعم .. انه مجنون ..

فقد كان لضآلة حظه من أساليب البيان يعتقد ترديده هذه الجملة يغنى عن الايضاح والاسهاب .

وكان يتصدر المائدة رجل بدين مترهل الجسم يدعى دانش كيلمان ينزل من هذه الجماعة منزلة الزعيم المطاع . وكان صامتا يصغى الى هيمى فيلدر فلما فرغ هذا من حديثه تمتم كيلمان قائلا :

ــ هذا عار كبير .. وكان والينو ولدا طيبا .. !

وساد الحاضرين سكون قصير احتراما لذكرى الراحل الكريم الذى كان ولدا طيبا .. !

وقال كيلمان متسائلا : ما الذى يجنيه تمبلار من هذا التدخل ؟

فقال بابيلوس مجيبا : لقد جنى حتى الآن عشرين ألف دولار من القاضى تاتير .. ومن المحتمل ان أسلبهم أجزل له العطاء .

وأرسل كيلمان بصره الى المتكلم فلم يملك بابيلوس ان ارتعد تحت تلك النظرات النفاذة الشذراء فقد كان يعلم

أن والينو لم يمت الا لأنه ـ أى بابيلومن ـ أرسل اليه تمبلار ومعه تلك المدية ٠٠ فلو أنه أحسن تفتيشه لما وقعت تلك النكبة ٠ وما من شك في أنه يعد مسئولا فى نظر الرفقـــاء .

واسترسل كيلمان قائلا : ولكنه كان يتحدث عن العدالة وعن القضاة الذين يعرقلون سـير العدالة .

فتمتم هيمى فيلدر قائلا : انه مجنون.. انه مجنون..!

فهز كيلمان كتفيه في غير اكتراث ثم ضرب المائدة بقبضة يده الضخمة وقال :

ـ انه ليس مجنونا ٠٠ بل أنتم المجانين ٠٠ نعم أنتم المجانين لانكم تتركون رجلا مثله يصرع خمسة منكم وانتم جلوس مكتوفو الايدى لا تحركون ساكنا ٠٠ لقد شرع يقتلكم واحدا بعد الاخر ٠٠ يطلق النار ذات اليمين وذات الشمال ٠٠ وما من رصاصة خرجت من مسدسه الا أصابت من أحدكم مقتلا ٠

فقال هيمى فيلدر : انه ٠٠

ولكن كيلمان لم يدعه يتم الجملة وانما صاح قائلا :

ـ مجنون ٠٠ أليس هذا هو ما تريد أن تقوله ٠٠ ؟ اقطع لسانك ولا تتكلم ٠٠ اننا نريد عملا لا كلاما ٠٠ قتل أربول .. وقتل والينو .. وقتل فولسانج .. وأنتم هنا تبحثون في هل هو مجنون أو غير مجنون ٠٠ وأولى بكم أن تقولوا لانفسكم : من الذى سيقتل بعد ذلك ٠٠ ؟ من الذى عليه الدور ٠٠ ؟ من التالى ٠٠ ؟

وقرع باب الغرفة في هذه اللحظة ودخل الرجل الذى يتولى حراسة الباب الخارجى وهو شاحب اللون بادي الخوف فقال له كيلمان فى صوت جاف : ماذا تريد .. ؟

فمد الحارس يده ببطاقة صغيرة وهو يقول :

ـ لقد دق الجرس ففتحت الكوة ونظرت منها فلم أجد

الا يدا تحمل هذه البطاقة فتناولتها ولما قرأت ما هو مكتوب عليها فتحت الباب مسرعا فلم أجد أحدا فى الخارج ٠ فرأيت أن اتيك بالبطاقة لانها تهمك ٠

ولم يجب كيلمان بكلمة واحدة اذ كان بصره مسمرا على البطاقة وشفتاه ترتجفان ويده ترتعد ٠٠ !

لم يكن على البطاقة الا ست كلمات ٠٠ ولكنها كانت كلمات رهيبة مخيفة ٠

أما هذه الكلمات فهى :

« داتش كيلمان هو ٠ التالى »

« سيمون تمبلار ـ القديس »



رفع كيلمان عينيه عن البطـاقة ونظر الى حـارس الباب ٠٠ وكانت نظـرته وحشيـة تنذر بـالشر المستطير ٠٠ !

ولكنه قال فى صوت رقيق لطيف : تعال هنا يا جو ٠٠ انك ولد طيب

ولعق جو شفتيه بلسانه وانفرجت شفتاه عن ابتسامة بلهاء لا معنى لها ٠

واخرج كيلمان سيجارا ضخما من جيبه واشعله وهو يقول :

ـ انك أنت الذى سمحت لتمبلار بالدخول بالامس ٠٠ ؟

فازدرد المسكين ريقه وقال فى كلمات متعلثمة :

ـ ان ما حدث يا داتش هو ان ٠٠ هو انه قرع الجرس وسألنى عن فاى فأنبأته بأنها لم تحضر بعد وان فى وسعه أن ينتظرها اذا شاء ٠

ـ ولهذا سمحت له بالدخول ٠٠ أليس كذلك ٠٠ ؟

ـ المسألة يا داتش هى هذا ٠٠ لقد قال انه سيشرب كأسا من الخمر ريثما تحضر ٠٠ ولم يكن فى هيئته ما

يثير الشك .. وفضلا عن هذا فقد ظننت أن تمبلار .

فقاطعه كيلمان في لهجة ودية : ماذا كنت تظن .. ؟

فتململ الحارس في وقفته وقال :

ـ كنت أظن أنه فريسة التقطتها فاى .. انك تعلم أن عملى هو حراسة الباب .. أدخل هذا واخرج ذاك دون أن أدرى شيئا مما يجرى ومع ذلك فلم يكن في وسعى أن أوصد الباب في وجهه اذا كان « فريسة » أرسلته فاى ..

ـ ولهذا أدخلته ؟ أليس كذلك ؟

ـ نعم أدخلته .. المسألة يا داتش هي أن ..

فقال كيلمان يقاطعه بصوته المخوف الرقيق : كم أعطاك يا جو .. ؟

وفهم الرجل ما يرمى اليه الزعيم فاتسعت حدقتاه خوفا وصاح قائلا :

ـ هذا كذب .. ! هذا كذب .. ! أنه لم يعطنى شيئا .. أقسم لك اننى لم أره من قبل .

فقال كيلمان : اقترب منى يا جو .

واقترب جو من زعيمه وهو يرتعد وجلا .

وجذب كيلمان من سيجاره الضخم نفسا طويلا متصلا بجعل طرف السيجار الملتهبة في وجنة حارس الباب ..

وصرخ الرجل متوجعا وارتد خطوة الى الوراء ولكن بعد أن الهبت النار بشرته .

ولم يتحرك أحد من الحاضرين بل لقد انفرجت أساريرهم كأنهم يشهدون رواية مضحكة .

واشعل كيلمان سيجارة ثانية وقال :

ـ انك ولد طيب يا جو .. فانتظر في الخارج حتى أستدعيك .

ولما أوصد الباب خلفه قال كيلمان يخاطب الحاضرين :

ـ يظهر اننا سنفقد جو .. !

وشرب بابيلوس جرعة كبيرة من كأسه ثم قال : اصغ الى يا داتش .

وكان صوته متهدجا ولكنه حاول أن يجعله هادئا ثابتا :

ـ انى لا أرى فائدة ياداتش في ان نقتل رجلا لانه أخطأ .. لقد ادخل تمبلار .. هذا صحيح . ولكنها غلطة وليست خيانة .. وكل شخص عرضة للخطأ .

ولم تكد هذه الكلمات تخرج من شفتيه حتى عرف غلطته . فقد صاح احد الحاضرين قائلا :

ـ وما الفرق بين الغلطة والخيانة ما دامت النتيجة واحدة ؟

ولم يجرؤ بابيلوس أن يدافع عن نظريته لانه كان يعلم أنه هو نفسه قد اخطأ حين ارسل تمبلار الى والينو ومعه المسدس والمدية .

وقال كيلمان في صوت رقيق :

ـ نعم . ما الفرق بين الخيانة والغلطة ما دامت النتيجة واحدة ؟؟ وانت ايضا يابابيلوس ولد طيب .. لماذا ارسلت تمبلار الى مورى والينو ولماذا ارسلته دون أن تجرده من مديته ومسدسه ؟

واستجمع بابيلوس شجاعته وصاح قائلا : هل انت محتوه .. ؟ لقد ارسلته لانى اعلم ان والينو يريد ان يقابله . ولم يكن معه مسدس او مدية .. وهيمى فيلدن يستطيع ان يؤكد ذلك .. لقد فتشه

فصاح فيلدر قائلا : هل تريد أن ..

ولكن بابيلوس قاطعه بقوله :

ـ اجلس .. انى لاأتحدث عنك الان .. لقد اردت أن اقول ان داتش اصبح مجنونا . انه يريد أن يعتبر ان

كل شــخص لمس تمبلار قد انقلب خائنا غادرا ..
سيتخلص من جو ، ثم منى .. ثم منك ، وهكذا . انه يريد ان يقتل كل رجل فى العصابة قبل ان تنزل به الضربة التى يعدها له تمبلار .

ولكن بابيلوس لم يزد على هذا القول شيئا اذ اخرج كيلمان مسدسه وصوبه اليه وهو يقول : انك تتكلم كثيرا يابابيلوس .

فامتقع وجه اليونانى وقال وهو يحاول أن يبتسم :

ـ انى آسف يادانش .. انى لا اقصد ما اقول .. ولكن أليس من الافضل أن نقتل تمبلار بدل أن نقتل احدنا؟

فصاح هيمى فيلدر قائلا : هذا رأى سديد .. نعم يجب ان نقتل تمبلار وساتولى انا بنفسى هذه المهمة .

فابتسم دانش كيلمان وقال ومسدسه مصوب الى بابيلوس :

ـ نعم سنقتل تمبلار حتى لا يقع احد فى غلطة جديدة .. انك ولد طيب يابابيلوس .. انتظر فى الخارج حتى استدعيك .. فاننا نريد أن نتحدث قليلا على انفراد

وخرج بابيلوس من الغرفة يتعثر فى خطواته دون أن ينطق بكلمة واحدة فقد كان يعرف من تجاربه السابقة ان لا فائدة فى ان يدافع الانسان عن نفسه وكان يعرفه ايضا ان هناك معنى واحدا لهذه الجملة : « انتظر فى الخارج حتى استدعيك » .

وهذا المعنى هو انها حكم بالاعدام وجلس بابيلوس فى البار وطلب قدحا من الخمر فلما أتاه به تونى افرغه فى جوفه دفعة واحـــدة .

وظل على مقعده صامتا شارد البال شأن الرجل الذى يعلم انه قضى عليه بالموت وانه لن تمضى بضع ساعات حتى يصبح جثة هامدة

ولم يكن له رجاء فى ان يلقى معونة من احد .. كان دانش كيلمان جبارا عنيدا وليس فى العصابة كلها رجل واحد يستطيع ان يرفع يده فى وجهه وعلى حين فجأة ارتسم أمام عينيه وجه رجل ليس من افراد العصابة . رجل له عينان هازئتان وابتسامة متهكمة

وايقن بابيلوس على الفور ان هذا الرجل يستطيع ان يفعل ما لا يجرؤ احد من زملائه على مجرد التفكير فيه

فلماذا لا يلجأ الى هذا الرجل لكى ينقذه من حكم الاعدام الذى صدر ضده .. ؟

وأزاح بابيلوس كأسه الفارغة وانبعث واقفا ومشى الى البـــاب .

ولما مر بالحارس جو تبادل الرجلان نظرة صامتة . كان كل منهما يعرف عن نفسه انه مقضى عليه بالاعدام وانه لم تبق له فى الحياة الا ساعات معدودات ولكن جو كان يجهل ان زميله انتهى الى نفس مصيره . فلما فتح الباب له ليخرج الى الطريق شيعه بنظرة مليئة بالحسرة والاسى وهو يقول فى نفسه لقد كتبت له الحياة .. !

دون ان يدرى ان الموت كتب لكليهما .. ! ولم يكد بابيلوس يخرج الى الطريق حتى وثب الى سيارته مسرعا وهو يخشى ان يلحق به رجال العصابة اذا ما عرفوا بخروجه . وما استقر على المقعد حتى أطلق لسيارته العنان واخذ ينهب بها الارض نهبا .

لم يكن يدرى أين يمكن ان يهتدى الى سيمون تمبلار يستنجد به ولكنه كان يدرى شيئا واحدا هو ضرورة الابتعاد وبأسرع ما يمكن عن حانة شارلى وعمن فى حانة شارلى .. !

وعلى حين فجأة شعر بحركة خلفه .. فلم يلتفت الى

الوراء حتى لا تضطرب عجلة القيادة بين يديه . ولكنه رفع عينيه الى مرآة السيارة .

ورأى يداً تبرز خلفه من الظلام مرتفعة من بطن السيارة .. وكان فى هذه اليد مسدس رهيب .. !

وارتعد بابيلوس واضطربت يداه وزاغت منه السيارة يميناً وشمالاً وقد أيقن ان ساعة الاعدام قد أزفت .. !

ولكنه بذل جهداً خارقاً حتى تمكن من ضبط حركة السيارة . وفى تلك اللحظة شق السكون صوت .. لم يكن صوت مسدس ينطلق .. وانما كان صوت رجل يقول : كيف حالك يابابيلوس .. !

وكان صوتاً هازئاً متهكماً .. لانه لم يكن الا صوت سيمون تمبلار

الفصل الخامس

حين سمع بابيلوس هذا الصوت ذهبت عنه رعدة الخوف التى كانت قد سرت فى اوصاله وهمس قائلاً : انى سعيد بلقائك .. كان فى نيتى ان ابحث عنك .

فقال تمبلار فى صوت ودود : حقاً . ! كنت تنوى ان تبحث عنى .. ؟ يالمصدفة السعيدة .. ! لقد صدق من قال ان من القلب الى القلب رسولا . !

وتذكر بابيلوس مقابلة اخرى جرت بينه وبين تمبلار .. مقابلة كان فيها تمبلار اسيراً بين يدى رجال العصابة والمسدسات مصوبة اليه .

وفى هذه المقابلة لم يقل بابيلوس انه سعيد بلقاء تمبلار وانما رفع يده ولطمه على وجهه .. ومحال ان ينسى تمبلار هـذه اللطمة .. ومحال ايضا ان يصدق ان بابيلوس كان حقيقة فى هذه اللحظة سعيداً بلقائه .. !

وقال بابيلوس مردداً جملته فى صوت متحشرج :

ـ نعم .. كنت أبحث عنك .. كنت أريد أن أتحدث اليك

ـ ويظهر انك كنت شديد التلهف الى لقائى الى درجة جعلتك تنطلق بالسيارة فى حركة فجائية سريعة حتى خيل لى انك تركت وراءك نصفها الخلفى .

فقال بابيلوس فى صوت مرتعد : بل اسرعت لان ورائى مدفعاً رشاشاً

ولم يقل تمبلار شيئاً .. ولكنه ضحك فصاح بابيلوس قائلاً :

ـ اقسم انى لا اكذب .. لقد صدر الحكم باعدامى .. لقد ارسلتك الى والينو ومعك الدية فاعتقدوا انى على اتفاق معك وانك اشتريت اخلاصى .. لقد تقرر اعدامى .

فهز تمبلار رأسه وقال : ولهذا خطر لك ان تبحث عنى وان تذهب اليهم برأسى حتى يصدر العفو عنك ... ولكن اعلم ياصاح انى اكره ان ادفن مجزأ .. انى احب ان يودع رأسى وجسمى فى قبر واحد .

فصاح بابيلوس متوسلاً : قلت لك انى لا احاول ان اخدعك .. انى اصارحك بالحقيقة .. انى اريد ان اعقد صفقة معك

فقال تمبلار هازئاً : وبكم تشترى اللطمة التى اعطيتها لى بالامس .. ؟

ـ الا تصدقنى يارجل ؟ قلت لك انهم حكموا على بالاعدام .. انهم يعدون المدفع الان لاطلاقه على .. وانت الرجل الوحيد فى العالم الذى يستطيع ان ينقذنى منهم .. لقد لطمتك حقيقة بالامس .. ولكن الموقف اذ ذاك كان مختلفاً .. ومع ذلك فالطمنى الان اذا شئت . الطمنى مائة مرة بل الف مرة . ولكن انقذنى منهم ..

انى على استعداد لان اساعدك ياتمبلار اذا نسيت ما حدث بالامس .. انس ما حدث واعف عنى وانقذنى منهم .. ان فى وسعى ان امدك بمعلومات خطيرة . لا تقتلنى ولكن اصغ الى .. انى اعلم انك كنت تنتظرنى لتأخذنى « للنزهة » ولكن ..

فقاطعه تمبلار بضحكة ساخرة أردفها بقوله :

ـ يظهر يابابيلوس انك مخدوع فى نفسك .. اتعتقد حقا ان تمبلار يمكن ان يهتم بشخص مثلك .. انى اطأ امثالك من الديدان الحقيرة عرضا وانا اسير فى طريقى .. لقد كنت اعتقد أن هذه سيارة دانش كيلمان فأردت ان انتظره فيها ..

فصاح بابيلوس قائلا : اذن فانت تريد دانش ؟ انك فى حاجة الى دانش اضعاف ما انت فى حاجة الى .. اتفقنا اذن .. سأمهد لك السبيل الى اقتناص دانش سأذكر لك كل ما اعلمه عنه متى يخرج ؟ ومتى يدخل ؟ واين يذهب بل ان فى وسعى ان اساعدك على ان تقتنص كل رجل فى العصابة .

واستمر بابيلوس فى حديثه محاولا ان يقنع تمبلار بانه صادق النية فيما يقول . وهذا يأبى ان يصدقه اعتقادا منه بانها حيلة يعمد اليها اليونانى لينقذ نفسه من حكم الاعدام الذى اصدره ضده تمبلار .

كان بابيلوس يعلم من امثولة اربول انه مقتولا لا محالة .. فلما رأى تمبلار خلفه ومسدسه مثبت فى ظهره هداه ذهنه الى هذه الخدعة فيلقى الى تمبلار معلومات لا شأن لها حتى يخلى سبيله .

وصاح بابيلوس اخيرا وقد استولى عليه اليأس :

ـ لا تقتلنى .. ولكن اصغ الى بضع دقائق .. سأقول

لك كل ما أعلم فاذا رأيت انى كاذب فيما أقول فاقتلنى كالكلب .

وقال تمبلار فى صوت هادىء : ان المقبرة التى أنوى ان ادفنك فيها لا تزال بعيدة فيمكنك ان تتكلم كما تشاء حتى نصل الى بابها .. ؟

وتكلم بابيلوس فقال : ان العصابة لا تنوى ان تشتغل بخطف الاطفال .. خطف الاطفال مهنة خطرة ولا داعى لها .. ان عملنا فى المستقبل سيكون الحماية .. نقول لرجل مثل انسلهيم : « ادفع مبلغ كذا والا قتلنا طفلتك » فاذا دفع تولينا حماية الطفلة واذا ابى قتلناها .. فهل تعتقد ان لاعادتك فيولا الى ابيها اية فائدة .. ؟ كلا .. انه سيضطر الى مواصلة الدفع والا قتلت .. لن نختطفها مرة اخرى لان للخطف متاعبه واخطاره .. ولذلك كان أول ما فعلناه هذا الصباح ان اتصلنا تليفونيا بانسلهيم وقلنا له : « ادفع المبلغ المطلوب والا لم تعد لك طفلة لكى ينقذها تمبلار » نعم .. فحتى من كان مثلك لا يستطيع ان يعيد الحياة الى طفلة قتلت .

فابتسم تمبلار وقال : ـ وهل تعتقد يا بابيلوس ان مثل هذه الحكاية التافهة كفيلة بأن تجعلنى اطلق سراحك ؟ . يجب ان تقضى الى بمعلومات أهم من هذه فتقبضت يد اليونانى على عجلة القيادة وهتف قائلا :

ـ ساخبرك بما تشاء .. سلنى اجبك .

فقال تمبلار فى صوت بارد :

ـ هناك سؤال واحد اذا ادليت الى بجوابه عفوت عنك وماهو هذا السؤال ؟

ـ من هو الرفيق الكبير .

فصاح بابيلوس قائلا : ولكنى لا استطيع ان اجيب عن

هذا السؤال

ـ حقا .. ! ولماذا .. ؟

ـ لان الاجابة مستحيلة .. لو كنت اعلم لما ترددت .. ليس في العصابة كلها من يعلم الجواب غير الرفيق الكبير نفسه طبعا .. والينو لا يعرف وكيلمان لا يعرفه، والتليفون هو الوسيلة الوحيدة للاتصال به .. ولا يعرف رقم التليفون الا شخص واحد .

فقال تمبلار في صوت يدل على العطف :

ـ وتكون سوء الحظ اذا لم تكن انت هذا الشخص .. !

فصاح بابيلوس قائلا : انى لست هـذا الشخص .. ولكنى ساخبرك باسمه .. انه .. يا الهى ! .. ماهذا ؟!

وانطلقت من فم بابيلوس صرخة تدل على الرعب والفزع .

وارسل تمبلار بصره الى حيث كان صاحبه ينظر فرأى سيارة تنهب الارض في نفس الاتجاه .. وكانت نافذتها مفتوحة .. ومن هذه النافذة تتراءى للعين فوهة مدفع رشاش .

وادرك تمبلار الخطر الداهم فانبطح على وجهه في قاع السيارة .

وفي اللحظة الثانية دوت الطلقات النارية وانهال على المقعد الامامي سيل من النار .. !



أخذ زجاج السيارة يتناثر حول تمبلار ولكن لم تصبه رصاصة واحدة من ذلك السيل الجارف الذي كان ينطلق من فوهة المدفع الرشاش اذ كان المقعد الامامي الذي يجلس عليه بابيلوس هو هدف المعتدين .

وسكنت عاصفة الموت .. وشعر تمبلار بان السيارة

اخذت تلتوى يمينا ويسارا .. ولم تكد تمضى لحظات حتى اصطدمت اصطداما عنيفا .

ولبث تمبلار في مكانه تحت الانقاض لا يتحرك وقد استولى عليه ذهول خفيف سمع في خلاله صرخات امرأة وصوت صفارة البوليس وجلبة قوم ينادون ويصيحون .

وادرك تمبلار ان الانتظار لا يتفق وخطته فتحامل على نفسه وازاح انقاض السيارة وخرج من بينها فرأى حشدا من الناس قد هرع الى المكان واحاط به احاطة السوار بالمعصم .

وكان لابد له ان يشق لنفسه طريقا .. وان يبتعد عن هذا المكان باسرع ما يمكن . ولكن نظرات الجمهور جعلت تنتهبه في فضول شديد فوضع يده على جيبه الخلفي وكانت هذه الحركة منه واضحة المعنى فانفض الناس من امامه واوسعوا له طريقا يمر منه .

وانطلق تمبلار وهو يوسع الخطى الى الشارع الجانبي وانعطف في اول طريق لقيه ليضلل شهود الحادث اذا اراد احد منهم ان يرشد رجال البوليس الى الطريق الذي سلكه .

ومرت به سيارة استوقفها باشارة من يده ووثب الى داخلها دون ان ينتظر وقوفها وصوب مسدسه الى السائق وهو يقول :

ـ استمر في طريقك واسرع .. !

واطاع السائق الامر الذي صدر اليه من تمبلار .. او من المسدس بعبارة أدق . وقال ألست أنت سيمون تمبلار

فدهش تمبلار وقال وكيف عرفتني .. ؟

فاجابه السائق في لهجة تدل على الارتياح : لقد عرفتك من صورتك التي نشرتها الصحف بالامس .. وانى

مسرور لانك خرجت سليما من هذه المعركة كما انى مسرور لانك انقذت تلك الطفلة المسكينة .

فقال تمبلار : اما أنا فمسرور لانى قابلتك .

واسترسل السائق قائلا : انى اكره موردى والينى .. منذ بضع سنوات كان يفرض اتاوة على كل صاحب سيارة فمن ابى ان يدفعها نسفت سيارته ولكم ارهقنى بهذه الاتاوة .

ولما بلغ تمبلار المكان الذي ينشده قال للسائق :

ـ قف هنا .. وشكرا لك .

فقال السائق فى ابتهاج : انى احب ان اخدم رجلا مثلك .. فاذا احتجت الى يوما من الايام فاتصل تليفونيا بمطعم كولومبيا .. تليفون رقم ٩٤٧٨٩ لانى اتغدى هناك دائما .

وقفز تمبلار من السيارة بعد أن دس فى يد السائق ورقة مالية من فئة العشرين دولار وهو يقول : اذا احتجت اليك ساستدعيك طبعا .

ولكنه لم ير ما يدعوه الى الثقة المطلقة بهذا السائق فدخل محطة السكة الحديدية القريبة من المكان وخرج من بابها الخلفى ثم دار حولها وذهب الى فندق استوريا عن طريق ملتو حتى يعتقد السائق انه كان ينوى السفر .

وقال فالكروس يسأله : لقد عدت مبكرا فما الذى حدث ؟

فاشعل تمبلار سيجارة وارتمى على المقعد وهو يقول :

ـ لا شىء .. وكل شىء .. لقد قتل رجل يدعى بابيلوس .. ان اسمه لم يكن مدرجا فى القائمة ولكن العصابة قتلته لانها اعتقدت خطأ أنه خانها .. فلما عرف أن حكم الاعدام صدر عليه أراد أن يفضى الى بكل ما

يعلم .. ولكن صوت المدفع الرشاش كان أعلى من صوته فاضطر أن يسكت ليتكلم المدفع !

فقال فالكروس :

ـ انك تجازف بحياتك ياتمبلار فيحسن بك أن تكون أكثر حذرا .

فقال تمبلار وهو يبتسم : كن مطمئنا يابيل فانى لن أموت الا بعد أن أقتنص الرفيق الكبير . وبهذه المناسبة .. ألم تذكر لى أنك متكفل بجميع نفقات هذه اللعبة ؟

ـ طبعا .. فكم تريد ؟

واخرج فالكروس من جيبه دفتر الشيكات ولكن تمبلار هز رأسه وقال :

ـ لا اريد مالا .. ولكن اريد سيارة .. سيارة صغيرة الحجم عظيمة السرعة فانى أعتقد مما سمعته من بابيلوس أن حادثا هاما سيقع عند بيت انسلهيم .. وقد تنقصنى السيارة .

ولما أرخى الليل سدوله كانت السيارة الجديدة فى انتظاره عند الباب فركبها وطار مسرعا الى ميدان ساتون .

ولكنه لم يقف عند بيت اسكل انسلهيم وانما وقف على مسافة قريبة منه حتى لا يلفت اليه الانظار .

لقد أنبأه بابيلوس قبل أن يموت بأن العصابة انذرت انسلهيم تليفونيا فى صباح ذلك اليوم بأن طفلته ستقتل ان لم يدفع الفدية المطلوبة .

ولا شك أن الاب الحنون لا يريد أن تقتل طفلته .. وكان تمبلار متلهفا الى أن يشهد الطريقة التى سيتم بها الدفع .

ونزل تمبلار من سيارته ومشى يتسكع على الافريز

وعيناه على باب البيت الذي يقطنه والد فيولا .

ولمح رجلا متواريا في الظلام على مقربة من الدار فقال في نفسه :

- يظهر ان العصابة ارصدت أحد رجالها لمراقبة الاب الحنون .

وفتح باب البيت وخرج منه رجل يحمل تحت ابطه لفافة كبيرة من الورق .

وسقط ضوء المصباح على وجه الرجل فعرف تمبلار أنه هو بعينه اسكل انسلهيم !

فهز رأسه وقال : ليت شعري اي شيء في هذه اللفافة ؟ ان فيها فيما أعتقد رزما من الاوراق المالية .. لقد قرر انسلهيم أن يدفع . ولكنني لن اجعله يدفع !

ودنا انسلهيم من الرجل المتواري في الظلام على مقربة من البيت ولكنه لم يناوله اللفافة وانما تحدث اليه برهة ثم صعد الى سيارته واللفافة لا تزال تحت ابطه .

فادرك تمبلار أن هذا الرجل ليس من العصابة وانه على العكس من ذلك : شرطي سري اقامه انسلهيم عند الباب ليسهر على حماية الطفلة المحبوبة .

وانطلقت سيارة انسلهيم تنهب الارض .

وكانت هناك سيارة أخرى منطلقة في اثرها وفيها سيمون تمبلار !



ظلت السيارتان تطويان الطرق في نفس الاتجاه حتى بلغتا ضواحي المدينة . فرأى تمبلار من الحكمة أن يطفيء انوار سيارته حتى لا يلفت اليه أنظار انسلهيم . فليس هناك ما يثير الفضول اذا اتخذت سيارتان طريقا واحدا في قلب المدينة العامرة بالمركبات الرائحة الغادية . ولكن هناك ما يثير كل الفضول اذا استمرت هذه المطاردة

خارج المدينة في الشوارع غير المطروقة .

واستمرت هذه المطاردة فترة طويلة من الوقت .

وعلى حين بغتة أوقف تمبلار سيارته اذ رأى ان سيارة أنسلهيم قد وقفت على قيد ثلاثين ياردة منه .

ولم ينزل انسلهيم من سيارته . ولكن تمبلار رأى على الاشعة المنبعثة من مصابيحها جسما أسود اللون يخرج من النافذة ويطير في الهواء ثم يستقر على الارض في صوت سمعه تمبلار في هذا السكون الذي يشمل الارض .

وعرف على الفور ان هذا الشيء ليس الا اللفافة التي فيها الفدية .

وقفز تمبلار من سيارته وانطلق صوب المكان الذي سقطت فيه اللفافة في الوقت الذي تابعت فيه سيارة انسلهيم طريقها .

ولم يثب تمبلار الى اللفافة بل توارى خلف احدى الاشجار مكتفيا بالنظر اليها وهي في موضعها تغمرها اشعة القمر .

وبعد دقائق سمع تمبلار خشخشة الشجيرات القريبة من اللفافة .. ثم زحزحت الاغصان وبرز من بينها رأس رجل تبعه كتفان .. !

وامتدت يد الرجل لتلتقط اللفافة .. وقبل ان يلمسها كان تمبلار قد أخذ بخناق الرجل وهو يقول في صوت لطيف :

- أهذا أنت ياعزيزي هيمي فيلدر .. ؟ اني سعيد بلقائك !

وحملق الرجل في وجه تمبلار وقد عقدت المفاجأة لسانه وجعلت اللون يغيض من وجهه .. ففتح فمه دون أن يتكلم !

فقال له تمبلار مازحا :

– انى لست عفريتا .. ولكن أسمح لى أن أحمل عنك هذه اللفافة .

والتقط اللفافة مسرعا دون أن يتصدى هيمى فيلدر لمنعه .. وحين ملك صوته كانت الكلمة الوحيدة التى نطقها هى قوله : مجنون !

وتأبط تمبلار اللفافة وهو يقول :

– الآن وداعا أيها الصديق العزيز .. !

وقبل أن يتحول لينصرف سمع خفق نعل على قيد خطوات منه .. والتمعت عينا فيلدر ببريق الامل فابتسم تمبلار وهمس فى أذنه قائلا :

– كلا يا صديقى . وارتفع صوت القادم قائلا :

– هل عثرت عليها ؟

وتولى تمبلار الاجابة :

– كلا ياصاح .. ان هيمى لم يعثر عليها .. ولكنى أنا الذى عثرت عليها .. فارفع يديك فوق رأسك والا ..

وقبل أن يتم تمبلار جملته دوى طلق نارى وأصابت الرصاصة الشجرة التى كان تمبلار واقفا عندها .. !

وضاقت عينا تمبلار وضغط زناد مسدسه .. !

لم يكن فى نيته أن يقتل الرجل لانه ما كان ليحفل بالحشرات الحقيرة ولهذا اكتفى بأن سدد المقذوف الى المسدس الذى يحمله الرجل .

وطار المسدس من يده ولكنه لم يرض بالهزيمة فوثب يريد الانقضاض على تمبلار .

وتلقاه تمبلار بأن ضغط الزناد مرة أخرى . ولكن الرصاصة لم تنطلق لانها كانت رصاصة فارغة !

وقبل أن يضغط تمبلار الزناد للمرة الثالثة كان الرجل

قد وصل اليه واشتبك معه فى عراك عنيف .

وكان الرجل ضخم الجسم كأنه عملاق جبار . فكان ثقل وزنه من العوامل التى ضايقت تمبلار على الرغم من براعته فى فن المصارعة وحذقه الاساليب اليابانية .

ودام النضال طويلا وأخذ الرجلان يتدحرجان على الارض وكل منهما يحاول أن يشد بقبضتيه على عنق غريمه .

وأخيرا ألفى تمبلار نفسه طريحا على الارض والرجل جاثم فوق صدره وقد أمسك بعنقه محاولا أن يخنقه .

وهتف الرجل قائلا : لقد نلته ياهيمى .. !! لقد نلته .. !!

ولكن تمبلار لم يكن من الطراز الذى ينال بمثل هذه السهولة . فرفع يده التى كانت لا تزال ممسكة بالمسدس وضرب الرجل على صلعته بمقبضه ضربة جمع فيها كل قـوته .

وتراخت يدا الرجل عن عنقه فدفعه تمبلار عن صدره فتدحرج وسقط على الارض .. !

ورأى هيمى فيلدر أن الواجب يقضى عليه أن يتدخل فأراد أن يثب بدوره على تمبلار ولكن هذا لكمه فى فكه لكمة ألقته على الارض غائبا عن الوعى .

ونهض تمبلار واقفا ونفض ثيابه ثم حمل اللفافة التى تحتوى على الاوراق المالية .

وبعد لحظات كان منطلقا بسيارته راجعا الى المدينة وقد خلف وراءه المقاتلين الجسورين راقدين على الارض مستغرقين فى النوم الهنىء .

الفصل السادس

يظهر انه لا ضرورة لان نقول ان مستر اسكل انسلهيم كان يهوديا .

وهو رجل بدين الجسم أسود الشعر له عينان ضيقتان تزدادان ضيقا اذا ما استولى عليه الخوف . وله ابتسامة لطيفة جذابة وأنف شديد التقوس من المؤكد انه كان السبب الاول الذى حمل هتلر على طرد اليهود من المانيا . وبهذا الانف لا يستطيع أحد من النازى أن يعتقد انه يمكن أن يكون رجلا شريفا رحيم القلب وانه جمع ثروته بوسائل مستقيمة غير ملتوية .

وكان انسلهيم جالسا الى مكتبه تلوح على محياه أمارات الاعياء ونور الصباح يسقط على وجهه ليبرز للعين شدة امتقاعه وكانت يداه موضوعتين على المكتب ولكن لو انك تأملتهما قليلا لرأيت فيهما رجفة خفيفة وكانت تحت عينيه خطوط زرقاء تدل على أنه كابد فى الايام الاخيرة متاعب تمزق القلب .

وفى الطابق الاعلى كانت طفلته فيولا راقدة فى فراشها غارقة فى النوم الهنىء لا يشغل ذهنها غير أحلام الطفولة العذبة .

ومن أجل هذه الطفلة رضى اليهودى بأن يدفع الفدية المطلوبة .

حقيقة قد أعاد اليه فيولا ذلك الشيطان المسمى سيمون تمبلار دون أن يتقاضاه أجرا عن انقاذها .. ولكن انسلهيم كان يعلم انه لابد أن يدفع الاجر .. للعصابة وليس لتمبلار .. حتى يكون مطمئنا الى سلامة الطفلة .

وكان انسلهيم لا يجهل أن طفلته لم تخطف لان فى النية الفتك بها وانما اريد من خطفها أن يكون نذيرا يحمله على الدفع .

ولقد اتصلت به العصابة فى صباح ذلك اليوم وأمرته بأن يدفع والا قتلت ابنته .

وكان هذا الانذار هو السبب فى تلك الرحلة التى قام بها الى ضواحى المدينة حين ألقى لفافة الاوراق المالية من نافذة السيارة فى المكان المتفق عليه دون أن يدرى بأن تمبلار خلفه يرقبه ويرصد حركاته .

وكان انسلهيم وهو جالس الى مكتبه يسائل نفسه عن السبب الذى يجعل مدينة عظيمة كنيويورك .. مدينة اجتمعت لها كل أسباب الثراء والرفاهية والقوة .. ما هو السبب الذى يجعل هذه المدينة واقعة فى قبضة عصابة دموية لا هم لها الا ابتزاز المال والفتك بالابرياء دون ما رحمة أو شفقة .. ما السبب الذى يجعل البوليس عاجزا مكتوف اليدين امام هذه النكبات المتوالية ؟!

ولكنه لم يكن فى حاجة الى أن يسمع جوابا من أحد . لانه كان يعرف الجواب كما تعرفه أمريكا بأسرها .. لو أن القضاة كانوا شرفاء . ولو ان رجال البوليس كانوا غير مرتشين «لمسحت» هذه العصابات مسحا تاما منذ زمن طويل .. ولكن كيف السبيل الى القضاء عليها والارهاب ناشرا جناحيه على المدينة .. والحكم للمدفع الرشاش .

وحين طافت هذه الخواطر بذهنه استولى عليه الغضب .. لا لانه كان يأسف لان المدينة فى قبضة العصابات وانما لانه كان يعلم ان المال الذى دفعه لن يرد اليه .

وفى هذه اللحظة سرت فى أوصاله رعدة فجائية .. لم تكن ناشئة عن الخواطر التى تواردت على ذهنه وانما كان منشؤها تلك الحركة الخفيفة التى تبادرت الى اذنه .

كانت نافذة المكتب مفتوحة .. وعندها وقف سيمون

تمبلار يرقب اليهودي بعينيه المرحتين اللتين تنبعث منهما سخرية مرة .

وعندما تكلم كان صوته أشد سخرية من عينيه .. كان وقع نبراته في الاذن اشبه بصليل السيوف .

ولقد مرت به لحظات وهو في مكانه هنا يتابع تلك الخواطر التي تصطخب في دماغ اليهودي .

وتكلم تمبلار قائلا : كيف حالك يا انسلهيم .. ؟

ولم يكد اليهودي يسمع هذا الصوت حتى تبدد ما كان يشعر به من الغضب والنقمة . ولم يعد يفهم أو يدرك الا شيئا واحدا هو أن طفلته المحبوبة راقدة في فراشها وليس هناك من يحميها من الموت الذي يترصدها .

وحملق انسلهيم في وجه تمبلار بعينين ينبعث منهما الرعب ورفع يديه الى رأسه يشد شعره كأنه مجنون فقد الوعي .

ثم صرخ قائلا في نوبة عصبية :

ـ لقد دفعت .. ! لقد دفعت .. ! فماذا تريد .. ! لماذا لا تتركني في سلام !

وجلس تمبلار على حافة النافذة وقال مجيبا :

ـ كلا .. انك لم تدفع .. انك لم تدفع أيها الأخ .

فصرخ اليهودي للمرة الثانية قائلا : اقسم انني دفعت .. !

واكسبه الرعب شجاعة وبلاغة فاسترسل قائلا :

ـ لقد دفعت .. دفعت هذه الليلة .. كما نبهت علي .. لاشك أنه حدثت غلطة .. ولكنها ليست غلطتي .. اقسم لك اني دفعت .. !

ومد تمبلار يديه في جيوبه فكاد يغمى على المسكين اعتقادا منه أن عدوه سيخرج مسدسه .

ولكن تمبلار أخذ يخرج من جيوبه رزما من الاوراق المالية ويلقي بها على المكتب تحت عيني اليهودي .. !

وكان انسلهيم يتابع بعينيه كل رزمة يلقيها تمبلار وهي تطير من يده وتستقر على المكتب دون أن ينطق بكلمة واحدة لأنه كان في ذهوله أشبه بالصبي الذي يرى ساحرا يخرج من أذنه اليسرى فأرا ومن اذنه اليمنى أرنبا .

وتكلم تمبلار في لهجة مرحة فقال : هذا هو مالك يا اسكل .. تسعون الف دولار . فقد حجزت لنفسي عشرة آلاف بمثابة عمولة تحصيل بنسبة عشرة في المائة .. وهكذا ترى أنك لم تدفع .

وحملق انسلهيم في رزم الاوراق المكدسة على مكتبه وقد استولى عليه رعب جديد . ولكنه لم يحاول أن يلمسها كأن في لمسها الموت !

ولما تمالك روعه صاح قائلا : من أين جئت بهذه الرزم ؟

فقال تمبلار مفسرا :

ـ يظهر انها سقطت منك أثناء سيرك ولكنني كنت وراءك لحسن الحظ فالتقطتها .. ولا أحسب أن دخولي من النافذة قد ساءك وأرجوك أن تعذرني في ذلك فاني مولع باستعمال سلالم الحريق .

وساد الصمت برهة ثم استرسل تمبلار قائلا :

ـ اني رجل شريف فلم يخطر لي على بال أن أستولي على مالك .. ولكن الشيء الذي يدهشني هو تلك الطريقة الشاذة التي تبذر بها ثروتك فانني مهما كنت واسع الثراء فلن أفكر في يوم من الايام أن أنثر الاوراق المالية في الطرق ذات اليمين وذات الشمال .. !

فازدرد انسلهيم ريقه وقال : هل تقصد أن تقول انك التقطت هذه الاوراق من المكان الذي رميتها أنا فيه ؟

فأحنى تمبلار رأسه وقال :

ـ هذا هو ما أردت أن أقنعك به منذ ساعة ٠٠ ولكن يظهر ان حظى قليل من الفصاحة وحسن البيان ٠ فعندما رأيتك ترمى هذه الرزمة الى الارض قلت فى نفسى : لا شك أن هذا الرجل مجنون ٠

فانفجر انسلهيم قائلا :

ـ بل أنت المجنون ٠٠ ! انك بهذا العمل قد قتلتنى ٠٠ قتلت ابنتى ٠

وكان صوته متهدجا مختنقا : اذا لم يصل هذا المال اليهم قتلوا ابنتى ٠

فتقدم تمبلار الى وسط الغرفة وجلس على حافة المقعد وهو يقول :

ـ حقا ٠٠ !

فصاح الرجل مزمجرا : يا الهى ٠٠ ! لماذا خطر لك أن تتدخل ٠٠ ؟ ! أية أهمية عندك للامر ٠٠ من انت ٠٠ ؟

فابتسم تمبلار وقال : انني الرجل الذى أعاد اليك ابنتك ٠

فهب انسلهيم واقفا وصاح قائلا : سيمون تمبلار ٠

فاحنى تمبلار رأسه وتناول سيجارا من الصندوق الموضوع على المكتب فأشعله وهو يقول أصبت ٠٠ انني تمبلار ٠٠ ولعلك قد فهمت الآن السبب الذى جعلنى أفضل أن استعمل سلم الحريق ٠٠ انك مدين لى بحياة طفلتك فاذا كان لديك مال كثير تريد أن تتخلص منه بهذه الطريقة الشاذة فلا مانع عندى مطلقا من أن تقذفه الى جيبى بدلا من أن تقذفه على الارض ٠

وساد الصمت برهة وأخيرا تكلم انسلهيم فقال : انى آسف لمسلكى معك ٠٠ انى لن أنسى صنيعك مدى الحياة ٠٠ ولكن اذا أردت أن تساعدنى فاخرج ودعنى وحدى

٠٠ انني اريد أن اخلو الى نفسى لافكر ٠٠ يجب أن لا يراك أحد هنا ٠٠ ان عرفوا انك كنت هنا قتلونا نحن الاثنين ٠

فقال تمبلار فى صوت هادىء : كلا ٠ ليس الاثنان ٠ ٠ !

وساد صمت طويل جعل تمبلار فى خلاله ينظر الى اليهودى كأنه يريد أن ينحت له تمثالا ٠

وقال انسلهيم متسائلا : لماذا جئت لزيارتى الآن ٠٠ ؟

ونفث تمبلار من فمه حلقة كبيرة من الدخان وقال : جئت لأعيد اليك هذه الاوراق ولادخن سيجارا من سجائرك الفاخرة ٠٠ ولاشرب تلك الكأس من الخمر الذى يلوح لى أن ليس فى نيتك تقديمه الى ٠٠ واخيرا لأرى انه كان فى وسعك أن تساعدنى ٠

ـ وكيف أساعدك ٠٠ ؟ أتريد مالا ٠٠ ؟

فهز تمبلار رأسه وأرسل بصره الى رزم الاوراق المالية المكدسة على المكتب وقال :

ـ لو انى كنت أريد مالا لما جئت اليك ٠٠ فقد كان المال فى جيبى كما ترى ٠٠ وفضلا عن هذا فان لى صديقان من أصحاب الملايين وضع خزائنه تحت تصرفى وهى لم تفرغ بعد ٠٠ كلا ٠٠ انى لا أريد منك مالا وانما أريد ثقتك ومعلوماتك ٠٠ خبرنى بما تعلم ٠

فهز انسلهيم رأسه فى حركة ميكانيكية وقال : لن أخبرك بشىء ٠

فنظر تمبلار فى ساعته وتمتم قائلا : لماذا هذا التسرع يحسن بك أن تتريث ٠

وساد الصمت برهة ثم استرسل تمبلار قائلا : من الجائز جدا يا انسلهيم أن ترجع عن رأيك ٠٠ والرجوع عن الرأى دليل على أن المرء حر فى تفكيره وأن له عقلا ٠ وانه يستعمل هذا العقل ٠٠ وانى أعرف طبعا ان لك

عقلا وانك تحب أن تستعمله .

وكان تمبلار يتكلم فى بساطة ليس فيها شيء من التهديد أو الوعيد · ولكن انسلهيم لم يكن من الغباوة بحيث يغفل عن أن هذه البساطة هى شعار تمبلار وانه حين يتكلم بمثل هذه الطريقة يكون خطرا رهيبا ·· فلو أن مسدسا كان مصوبا اليه لما كان أشـــد وقعا فى نفسه من هذه الكلمات الناعمة الليّنة .

ولما سكت تمبلار تكلم انسلهيم فقال فى صوت مرتعد :

ـ وعن أى شيء تريد أن تسألني ·· ؟

فنظر اليه تمبلار وكانت نظرته مجردة عن الزهو أو الانتصار ·· وقال :

ـ حدثنى بكل ما تعلم . فقال انسلهيم معترضا :

ـ ولكنك تعلم من الامر مثلما أعلم انا ·· لقد اختطفوا فيولا لانى ابيت أن ادفع ثمن الحماية ·

فقال تمبلار مرددا : ثمن الحماية ·· انى أعلم ذلك فاستمر ·

ـ ولكنك لا تعلم طبعا ان انقاذك فيولا لن يجدى على شيئا فاذا أبيت أن ادفع قتلوها ·

ـ ولكن من هم الذين سيقتلونها ؟

ـ لا ادرى . لست أعرفهم . فهز تمبلار رأسه وقال :

ـ هذا جائز طبعا ·· ولكن لديك على الاقل فكرة عنهم ·· ما هى الطريقة التى يتصلون بك بواسطتها ·· ؟ التليفون ·· أليس كذلك ·· ؟ ولكن هب مداعبا ثقيلا هو الذى هددك ·· كيف عرفت أن التهديد جدى ·· ؟ هل اذا جاءك رجل من عرض الطريق وامرك بأن تدفع فهل كنت ترضى بأن تدفع ·· ؟ ان مجرد التهديد لا يكفى لحملك على

الخضوع ·· فلابد ان هناك أمرا معينا جعلك تعتقد ان العصابة جادة فيما تقول .. وهذا هــو ما اريد أن أعرفه ·

ونهض انسلهيم واقفا وجعل يتمشى فى أرجاء الغرفة وقد لاحت على وجهه أمارات الاضطراب .

وجعل تمبلار يرقبه وهو يعلم بتلك العاصفة التى تصطخب فى صدره · هذا النضال الرهيب بين الخوف والجرأة ·· انه يريد أن يتكلم ولكنه خائف ·

وكان انسلهيم قد بلغ فى سيره جدار الغرفة فارتفعت يده فى سرعة البرق وضغطت زرا فى الجدار ثم تحول الى تمبلار وقال فى لهجة تدل على الانتصار : والان هيا أخرج ·· ! هذا الجرس متصل باحد رجال البوليس السرى الذين استأجرتهم لحراستى ·· انى لا أريد ان أنزل بك اذى لانى مدين لك بكل شيء .. ولكنى لا استطيع ان أتكلم .. لان كلمة واحدة تخرج من شفتى معناها الموت ·· موتى وموت فيولا ·· !

فقال تمبلار فى صوت رقيق : انى لا أرضى لك ذلك طبعا ·

ومشى الى النافذة فتخطى حافتها ووقف على سلم الحريق وقال :

ـ انى لازلت فى انتظار معلوماتك ·· وسنلتقى فى يوم آخر ·

فهز اليهودى رأسه وقال : محال ان اتكلم ·· !

فرماه تمبلار بنظرة ازدراء وقال : انك ستتكلم فى مرة اخرى ٠ !

ثم اخذ يهبط السلم وما لبث أن ابتلعه الظلام ٠

والواقع ان هذه الزيارة لم تسفر عن اية نتيجة فما لخرج منها تمبلار بشيء جديد .. كان فى وسعه على الاقل أن يظفر بالتسعين ألف دولار ٠ ولكنه أبى الا أن يعيدها الى صاحبها شأن الرجال الشرفاء ٠

واخذ يلعن نفسه لقلة احتياطه اذ مكن اتسليم من أن يستدعى الحارس ٠٠ ولكنه سيكون اكثر حذرا فى المرة القادمة وسيعرف كيف ينتزع الكلام من هذا اليهودى الماكر ٠

ويظهر ان تمبلار كان منهمكا فى هذه الخواطر وهو ينزل السلم فلم ينتبه الى الخطر الذى كان فى انتظاره ٠

فما استقرت قدماه على الارض حتى شعر بجسم صلب يضغط ظهره وسمع صوتا يقول :

ـ تعال معنا ايها الصديق لنذهب بك الى « نزهة » صغيرة ٠ !



لم تبد على وجه تمبلار ذرة من القلق او الانزعاج وهو يجتاز عتبة الغرفة الداخلية فى حانة شارلى ٠

ومضى يتصفح وجوه الحاضرين كانما يتفرج على تماثيل مرصوصة فى احد المعارض ٠ والحق ان وجوه هؤلاء الرجال كانت جديرة بالتأمل لان فيها أصدق تعبير

عن روح الشر والجريمة ٠ وكذلك مضى الرجال ينظرون اليه متفرسين ليروا عن كثب وجه هذا الرجل الذى جاء الى تلك البلاد ليتحدى الحديد والنار ٠

وكان تمبلار مجردا من السلاح اذ فتشه اعداؤه واحسنوا تفتيشه فى هذه المرة فانتزعوا حتى تلك المدية المشدودة الى ذراعه والتى غفلوا عنها فى المرة الاولى ٠ بل لقد بلغ من ريبتهم انهم جردوه من علبة سجائره ومن مبراته ومن القلم الرصاص اعتقادا منهم أن هـذا الشيطان قد يحيل حتى مثل هذه الاشياء الى اسلحة يتوسل بها الى النجاة ٠ !

ولو ان رجلا غير تمبلار جرد من اسلحته بمثل هذه الدقة لاستولى عليه الانزعاج ٠٠ ولكن تمبلار على العكس من ذلك كان مبتهجا مسرورا اذ رأى فى هذه العناية خير دليل على أن له فى نفوس هؤلاء القوم مكانة عظيمة ٠

لقد ظل يبتسم ٠٠ وظلت عيناه ترسلان هذا الوميض الساخر الهادىء الذى يثير الاعصاب ويهيج النفوس ٠

وتمتم تمبلار وهو يدير عينيه فى الحاضرين : مرحبا بكم ايها الاخوان ٠٠ ! صدقونى انى كنت شديد اللهفة على لقائكم ٠٠ وليت شعرى أى نوع من الاستقبال اعددتم لى الليلة ٠٠ ؟

وكان هيمى فيلدر بين الحاضرين وقد شد الى رأسه بعض الضمادات والاربطة كتحية يقدمها الى المعركة التى جرت فى الليلة الماضية .

ومال فيلدر الى كيلمان وقال : انه مجنون .. هذا

الرجل مجنون ٠ ! وكان كيلمان جالسا على مقعده كأنه صخرة لا يتحرك وعيناه مثبتتان على تمبلار ينظر اليه من قدمه الى رأسه ٠

ولكن تمبلار لم يكن مهتما بكيلمان أو بهيمي فيلدر أو باحد من هؤلاء المعظام وانما كان بصره عالقا بتلك الفتاة الجذابة فاى ادواردس ٠

وكان غريبا ذلك الاثر العميق الذى تتركه هذه الفتاة فى نفسه كلما عبرت طريقها ٠

انه لم يكن يعرف عنها شيئا حتى الآن ٠٠ لقد سمع صوتها فى التليفون وهى تتحدث الى القاضى ناثير ٠٠ أو خيل اليه انه سمع صوتها لانها لم تكن قد تكلمت حتى هذه اللحظة ليتحقق من انها هى بعينها صاحبة ذلك الصوت الموسيقى العذب ٠

لقد رآها فى مقر العصابة فى الليلة التى استعان فيها فيولا اسلهيم ولكنها ظلت صامتة لا تنطق كلمة واحدة ٠٠ وحين دفعت المسدس الى يده لبثت مطبقة الفم ايضا ٠٠ ! ولكنه على الرغم من صمتها ٠٠ وعلى الرغم من انه لم يسمع احدا يذكر اسمها كان موقنا انها لابد ان تكون فاى ادواردس التى هم قرناك بأن يحدثها عنها .

وكان وجهها هو الوجه الوحيد فى هذه الغرفة الذى يذكر المرء بأن فى الدنيا جمالا بحق ..! وكان القديس سعيدا وهو ينظر اليها ٠٠ !

فعلى الرغم من المسدسات المصوبة اليه ٠٠ وعلى الرغم من الخطر الذى يترصده ٠٠ وعلى الرغم من بقيته

بأنه وشيك بأن يقتل ـ كان سعيدا وهو يتأمل فى وجهها هذا الحسن الفتان ٠٠ !

وكان هناك سؤال يتردد فى ذهنه دون أن يدرى له جوابا :

لقد اعانته وهو فى شدته ٠٠ وزودته بالمسدس ٠٠ فلماذا ٠٠ ؟ لماذا فعلت هذا ٠٠ ؟ أى سبب حملها على انقاذه ٠٠ ؟ هذا هو السؤال الذى أعياه جوابه ٠

كانت جالسة على مقعدها جامدة الوجه كأنها تعيش فى غير هذه الدنيا ولا تدرى بما يجرى حولها .

حين دخل الغرفة استقر بصره عليها ٠٠ وقد خيل اليه انه رأى فى عينيها وميضا غريبا ٠٠ ولكن هذا الوميض ما لبث أن اختفى بمثل السرعة التى ظهر بها ٠٠ وارتدت فاى ادواردس كما كانت جامدة كأنها قطعة من الصخر ٠

والتفت اليها داتش كيلمان وقال : هذا هو سيمون تمبلار ٠ !

فقالت الفتاة وعيناها مسمرتان على تمبلار :

ـ نعم انه الرجل الذى قتل مورى والينو ٠

ولاول مرة سمع تمبلار صوتها ٠٠ وكان هو نفس الصوت الموسيقى العذب ٠٠ ! فسرت فى أوصاله نفس النشوة اللذيذة التى شعر بها حين سمع صوتها فى التليفون ٠

وقال تمبلار يخاطبها : طاب مساؤك يا فاى ٠

واطالت الفتاة نظرتها اليه ثم تناولت سيجارة من حقيبتها فاشعلتها .

وعلى الضوء المنبعث من عود الكبريت رأى تمبلار في عينيها ذلك الوميض الخاطف الذي رآه عند دخوله الغرفة منذ دقائق .

ولكنه لم يصدق عينيه وخيل اليه انه انما رأى هذا الوميض بعين الوهم والخيال .

واوما كيلمان برأسه الى احد رجاله ، فمضى الرجل الى باب في الغرفة غير الباب الذي دخل منه تمبلار ففتحه وهو يقول : تفضلا .

فدخل الغرفة رجلان .

كان احدهما طويل القامة عريض المنكبين كأنه عملاق جبار يعلو عينيه حاجبان كثيفان . أما الثاني فكان على النقيض من صاحبه ضئيل الجسم أصلع الرأس ذا شارب صغير محفوف . فجعل تمبلار يتأملهما ويقارن بينهما وهو يبتسم مبتهجا وقد استولت عليه رغبة ملحة في أن ينتزع حاجب العملاق الكثيف ليلصقه في الموضع اللائق به تحت انف الرجل الضئيل ليجعله شاربا له .. !

وعرف تمبلار الرجلين بمجرد النظرة الاولى .. فالعملاق هو مستر روبرت اركيد زعيم تلك الجماعة السياسية التي تتولى القيام بالحملات الارهابية لمصلحة بعض المرشحين مستعينة بالعصابات أما الرجل الضئيل فكان مستر ماركوس بيلد النائب العمومي لمدينة نيويورك . !

ويظهر ان الرجل الضئيل كان يعرف من تاريخ تمبلار

ما جعله يقف متباعدا في ركن الغرفة دون أن يجرؤ على الدنو من « الشيطان » بالرغم من المسدسات التي كانت جديرة بأن تحميه من أي خطر يتهدده وكانت نظراته حافلة بالخوف فلم يملك تمبلار نفسه وهو ينظر الى جسمه الضئيل من ان يقول له : بخ .. !

وكما كان يتوقع تمبلار ارتعد الرجل خوفا .

وقال اركيد يخاطب تمبلار : اذن فانت الرجل الذي كنا نبحث عنه .

ــ نعم انني هذا الرجل يا اركيد .

فحملق فيه العملاق وقال :

ــ وكيف عرفت اسمي .. ؟

ــ من صورة لك رأيتها في إحدى المجلات .

وجعل اركيد يصعد تمبلار بنظراته ثم قال :

ــ اني أرى ان لا فائدة في اللف والدوران .. ولذلك سأخاطبك في صراحة تامة .. لقد سببت لنا متاعب كثيرة .. ولعلك تعرف ان جرائم القتل التي ارتكبتها كفيلة بأن ترسلك الى الكرسي الكهربائي .

فقال تمبلار مجيبا : الواقع انى لم أكن اعرف هذا . فعندما حضرت الى هذه البلاد كنت اعتقد انه لا داعي لأن يحصل الانسان على ترخيص لكي يباح له قتل الناس .

فقال اركيد في لهجة تهديدية :

ــ ان الكرسي الكهربائي مصير كل مخبول يحضر الى

هذه البلاد وهو يعتقد ان فى وسعه ان ينظفها .. وانت تعلم طبعا ما ينبغي ان افعله الآن .

فقال تمبلار مصححا : بل اعلم ما « كان » ينبغي لك ان تفعله .. ! ان الواجب يقضي عليك بصفتك رجلا شريفا ومن انصار القانون والنظام ان تستدعي شرطيا وتسلمني له .. ولكنك لن تجرؤ على هذا لان الناس قد يسالونك عن السبب الذى اتى بك الى هذا المكان .

وساد الصمت برهة واشعل اركريد سيجارا ضخما جذب منه بضعة انفاس ثم قال : ليس فى نيتي ان استدعي شرطيا .. لسبب واحد هو انك لا تزال فى مقتبل العمر ومما يؤسف له أن يموت من كان مثلك وهو فى غض الشباب .. انك تكره طبعا ان ترسل الى الكرسى الكهربائى او تؤخذ الى « نزهة » صغيرة الیس كذلك ؟

ولبث تمبلار صامتا لا يتكلم فاسترسل اركريد قائلا :

ـ لو انك اتيت لمقابلتي بمجرد قدومك الى هذه البلاد لامكنني ان اسدى اليك خدمة كبيرة .. ان هذه الاعمال التى تشغل نفسك بها الآن تتعبنا وتتعبك .. اننا لسنا ناقمين عليك لقتلك اربول فقد كان غير ذى شأن فى العصابة .. ولسنا ناقمين عليك لقتلك والينو فقد بدأ ينتفخ ويكبر فى الايام الاخيرة وكان فى نيتنا ان نتخلص منه لو انك لم تقتله .. ولكنك لا تزال ماضيا فى طريقك واخشى ان تمتد يدك الى قوم نحرص على بقائهم .. لقد وعدنا الجمهور بأن نقر الامن والنظام .. وبصفتي رئيسا لجمعية تامانى التى تقوم بالدعاية الانتخابية ارى من واجبى حدا لنشاطك .. وهذا مستر بيلد يؤيدنى فيما اقول .

فتكلم النائب العمومي للمرة الاولى فى صوت متحشرج فقال :

ـ طبعا .. يجب ان اضع حدا لنشاطك .. يجب القضاء على هذه الحركات التى لا داعى لها .

واسترسل اركريد قائلا : لقد تعهدنا للمرشحين باقصائك من الميدان وانا رجل احب ان ابر بتعهداتي .. ولكننا رأينا ان لا نشتد فى معاملتك ولذلك قلت لصديقي بيلد : ان تمبلار رجل عاقل فلماذا لا نتقدم اليه بعرض معقول ؟

وكان الامر من الوضوح بحيث لا يحتاج الى كل هذه البلاغة الفياضة التى عمد اليها رئيس جماعة الدعاية الانتخابية .. كانت هذه الجماعة تعتمد فى نصرة مرشحيها على الحملات الارهابية التى تقوم بها العصابات لمصلحة هؤلاء المرشحين .. فاذا جاء تمبلار وقضى على هذه العصابات فقد قضى ضمنا على جمعية تامانى .

وساد الصمت برهة ثم استرسل اركريد قائلا فى لهجة تمثيلية :

ـ اما هذا العرض فهو ربع مليون دولار .. الا ترى اننا كرماء اسخياء ؟ اننا نعرض عليك ربع مليون دولار لكى تغادر هذه البلاد راجعا الى انجلترا او الى اى بلد تشاء فما هو رأيك ؟

فقال تمبلار يسأله : وايه خدمة تبتغون منى لقاء هذا الثمن ؟

فجذب اركريد نفسا طويلا من سيجاره الضخم ثم قال :

ـ اننا لا نبغي منك شيئا .. كل ما ننشد انما هو ايقافك عند حدك . لا نريد منك ان تتدخل في شئون هذه المدينة .. ولكنك تعلم طبعا ان لا فائدة هناك على الاطلاق اذا سافرت انت وبقي اذنابك واعوانك ماضين على نفس الخطة .. ولهذا نريد منك ايضا ان ترشدنا الى رجال عصابتك لنتفق معهم كما اتفقنا معك .. الست ترى معي انها صفقة رابحة ؟

فقال تمبلار مجيبا : انها صفقة رابحة لك .. خاسرة لي فصاح هيمي فيلدر : انه مجنون ! الم اقل لكم انه مجنون !

فدار اركريد على عقبيه وصاح بفيلدر قائلا :

ـ اصمت ايها الغبي واياك ان تتكلم .

ثم تحول ثانية الى تمبلار وقال في صوته الهادىء :

ـ اصغ الي .. اني لا احاول ان اخدعك . سننقدك ربع مليون دولار لكي تغادر هذه البلاد .. اني اهييء لك فرصة ما كنت لتحلم بها فكيف ترفض هذا العرض ؟

ـ ارفض لانك تصر على ان تعرف اسماء رجالي .

ـ واي ضير في ان ترشدنا اليهم ؟

ـ لا مانع لدي طبعا .. اذا كانت لدي عصابة .

ـ ماذا تقصد ؟

ـ اقصد انني انما اشتغل بمفردي .

ـ بمفردك .. ! هذا كلام لا يقبله العقل !

ـ ولكن يقبله الواقع . سل من شئت من رجالك تعلم انهم لم يروني في يوم من الايام الا وحيدا منفردا .. انني الرئيس .. والوكيل .. والسكرتير . والاعضاء .. والبواب ايضا فعصابتي مؤلفة من رجل واحد . وهذا الرجل هو انا . فليس عليك الا ان تضع في جيبي الربع مليون دولار وتقف على الميناء لتلوح لي بمنديلك مودعا !

وجعل اركريد ينظر اليه برهة ثم اقترب من بيلد وكيلمان واخذ الثلاثة يتحدثون في صوت منخفض . بينما كان هيمي فيلدر يحرك شفتيه حركات خفيفة دون ان يخرج من بينهما صوت مسموع . ولكن كان من الواضح انه يريد ان يردد جملته المعهودة :

ـ انه مجنون .. انه مجنون .

واستعار تمبلار سيجارة من اقرب الجالسين اليه فاشعلها واخذ يدخن وهو ينقل بصره بين وجوه الرجال المنبثين في الغرفة وفي عينيه مرح وابتهاج كانما ينظر الى صور هزلية مضحكة .

لم يكن تمبلار من طراز يخيفه التهديد والوعيد وهو الرجل الذي امضى حياته مستهدفا للاخطار .. وما كان ايضا من الطراز الذي يرضى بان يتخلى عن مهمة اخذها على عاتقه سواء قدموا اليه ربع مليون دولار او ربع مليون رصاصة !

وعلى الرغم من ان الرجال الثلاثة كانوا يتبادلون الرأي في صوت منخفض الا ان تمبلار كان يسمع الشطر

الاكبر من حديثهم ٠

وقد سمع اركريد يقول : وهل من المعقول انه يعمل بمفرده ؟ ان كل هذه الاعمال الجريئة لا يمكن ان تصدر الا عن عصابة منظمة ٠

فقال النائب العمومى : اننى اعتقد شخصيا انه صادق فى هذا القول ٠

وقال كليمان : انه يعتمد على المفاجاة ٠٠ يباغت اعداءه على غير انتظار فيظفر بهم ٠٠ ولكننى لا اعتقد انه يجمع حوله عصابة ما ٠

فقال اركريد :

ـ هذا جائز ٠٠ ولكن يجب ان نعمل عملا يرضى الشعب ٠٠ اذا قدمناه الى المحاكمة فضحنا واطلق لسانه بما يعرف ٠٠ واذا قتلناه هاج الشعب ضدنا ٠٠ ولكن يجب على اى الاحوال ان نتخلص منه ٠ فما هو العمل ؟

واستمر الحديث برهة بين الرجال الثلاثة والقديس ماض فى تدخين سيجارته فى غير اهتمام كانما لا يحفل بما يجرى حوله ٠٠ وكأن هذا الحديث يعنى شخصا آخر سواه ٠

ولكنه كان يفكر فى ذلك الرجل العجوز فالكروس الذى استدعاه من اوروبا وجعله يعبر المحيطات والبحار لكى ينقذ هذه المدينة الغارقة فى الدماء ٠

ان من المحال ان يثق بهذا الرجل وان يذكر للعصابة انه هو الذى يؤيده ويسنده ، كما ان من المحال ان يتخلى عن المهمة التى جاء من اجلها ٠

فى هذه المدينة سبعة ملايين شخص يدفعون الى القضاة والى رجال البوليس مرتبات ضخمة لكى يحموهم من السرقة والقتل ٠٠ فاذا بهؤلاء الرجال يستخدمون مناصبهم فى تأييد السرقة والقتل !

وليس فى هؤلاء السبعة الملايين رجل واحد يجهل هذه الحقائق ولكن ليس فيهم رجل واحد يجرؤ على ان ينادى برأيه وان يقول للشرطى المرتشى : انك مرتش ٠٠ او للقاضى الخرب الذمة : انك خرب الذمة ٠

ولكن تمبلار سيقول هذه الكلمة الجريئة ٠٠ فاذا كانت الشجاعة قد خانت سبعة ملايين رجل فانها لم تخنه هو ٠٠ واذا كانت المدينة باسرها لم تجد الكلمة التى ينبغى ان تقال فان القديس وجدها ٠

وقطع عليه حبل تصوراته صوت اركريد وهو يقول :

ـ لقد سمعت يا تمبلار كل ما ينبغى ان يقال ٠٠ ليس لحل هذه المشكلة الا طريقتان : طريقتك وطريقتنا ٠٠ فايهما تختار ؟

ـ ولكنى اذكر انى ذكرت لك رأيى من قبل !

ـ الا تنوى ان تعدل عنه ؟ ان تمبلار لا يتراجع ٠٠

فهز اركريد رأسه وقال : انها فرصة افلتت منك ٠٠ وستندم عليها !

ونهض واقفا وهو يقول مخاطبا كيلمان : افعل اذن ما اتفقنا عليه ومشى الى الباب وخلفه النائب العمومى ٠

ولما انصرف الرجلان قال كيلمان : تعال هنا يا تمبلار ٠

وتكهرب جو الغرفة وارهف الحاضرون اسماعهم واتسعت عيونهم انتظارا لما يمكن ان تتمخض عنه الحوادث !

وكان صوت كليمان باردا ولكن نبراته تنذر بشر مستطير .

ولم يكن فى نية تمبلار ان يقف مكتوف اليدين حتى يجهز عليه اعداؤه ولكنه فى الوقت ذاته لم يكن يدرى كيف يكون المخرج من هذا المأزق الحرج اذ لا سبيل له وهو بمفرده الى التغلب على عشرات من الرجال مدججين بالسلاح .

ونظر كليمان فى وجهه وقال :

ـ انك ولد طيب .. لقد اثبتنا حقيقة ولكنك كنت ولا تزال ولد طيبا .. فهل لك فى ان تنتظر برهة فى الخارج حتى استدعيك !

ولم يكن احب الى تمبلار طبعا من ان يغادر الغرفة .. ولكنه لم يغادرها بالطريقة التى ينشدها وانما انقض عليه رجلان من ابناء العصابة ومضيا به الى الغرفة المجاورة .

واشار كليمان الى اثنين من اعوانه بالاقتراب منه واخذ يصدر اليهما تعليماته قائلا ، ساعهد اليك يا ماكس بهذه المهمة انت وجو .. فاديا له التحية العسكرية اللائقة .. ثم عودا لمقابلتي هنا .

وخرج الرجلان من الغرفة وقد امسك كل منهما بمسدسه استعدادا لاداء التحية العسكرية !

والتفت كليمان الى أعوانه وقال : كان تمبلار ولدا طيبا

ثم اخرج من جيبه منديلا مسح به دمعة حزن ترقرقت فى عينيه !



عندما خرج تمبلار الى الطريق انعشه النسيم العليل .

وجلس فى السيارة بين حارسيه وقد الصق كل منهما فوهة مسدسه بجنب الاسير واصابعهما على الزناد حتى لا يتيحا له فرصة يفلت فيها ، فحسبه اقل حركة لينطلق المسدسان يحملان الى قلبه الموت الاكيد .

وبينما كان السائق يدير المحرك ارسل تمبلار بصره الى باب الحانة . وهناك رأى فاى ادواردس تسد فرجة الباب بقوامها الرشيق .

كانت حافة قبعتها مرخية على عينيها فلم يدر تمبلار اذا كانت تنظر الى ناحيته أم لا .. وما كان سبب يدعوه الى الظن بأنها تتابعه بنظراتها او أنها تشعر بوجوده . ففى خلال الحديث الذى دار بينه وبين اركريد كانت جالسة تدخن سيجارتها مستسلمة الى خواطرها الشخصية غير عابئة بما حولها .. وعندما أصدر كليمان الامر باعدامه كانت مهتمة باشعال سيجارة ثانية .. بل انها لم تكلف نفسها مؤونة رفع عينيها . وكانت يدها ثابتة لا ترتعد .. وعندما دفعه الحارسان الى خارج الغرفة نظرت اليه نظرة بدا فيها شىء من القلق

والانزعاج ولكن هذه النظرة ما لبثت ان تبددت وارتد الى وجهها جموده المعهود ·

ولاحظ ماكس ان تمبلار يطيل النظر الى فتاة وهي عند باب الحانة فقال له :

ـ تأملها جيدا ·· فبعد قليل لن يكون في وسعك أن تتأمل شيئا !

فابتسم تمبلار وقال : انها تستحق ان ينظر اليها المرء ·· ومن حسن الحظ ان السائق بطيء في عمله ·· !

ورأى تمبلار الفتاة تعبر الطريق خلف السيارة في الوقت الذي جذب فيه جو الستائر فأسدلها ·

وبعد لحظات تحركت السيارة فعبرت بعض شوارع المدينة ثم انحرفت الى ناحية الغرب ·

كان تمبلار يعرف أنه سائر الى حتفه ·· ولكنه ظل مع ذلك رابط الجأش هادىء الاعصاب لا تطرف له عين اذ كان موقنا من ان الاقدار لن تتخلى عنه في مثل هذه اللحظة الخطيرة التي أخذ فيها على عاتقه اداء رسالة العدالة ·· العدالة السليمة التي لا ترحم أحدا ·

انه ما تدخل وما قتل ابتغاء نفع خاص وانما فعل كل هذا لكي ينقذ سبعة ملايين شخص من قبضة وحوش بشرية لا ترحم ·

وما كانت هذه اول مرة واجه فيها الموت · وما كانت اول مرة ألفى نفسه فيها في مأزق حرجة شديدة ·

ولكنه مع ذلك لم يستطع أن يطرد من ذهنه هذا السؤال :

ـ اتراه لم يبالغ في الثقة بنفسه والاعتداد بقوته !

وكان في وسعه ان يطلق صرخة استنجاد كلما وقفت بهم السيارة عند مفترق الطرق ·· ولكنه لم يكن من الطراز الذي يستنجد اذ ابا عليه كبرياؤه ان يلجأ الى هذه الوسيلة التي لا يقرها تاريخه القديم الحافل بجلائل الاعمال · ومع ذلك فهب رجال البوليس خفوا الى نجدته فهل ينتظر أن يجني من هذه النجدة شيئا ذا قيمة .. ؟ سيفقده الشرطي من حارسيه ·· ولكنه سيرسل به الى السجن ·· ولن يجد تمبلار محكمة تقره على طريقته في تنفيذ العدالة . فاذا نجا من رصاص المسدسات فلن ينجو من الكرسي الكهربائي ·

وكان تمبلار يعتقد ان حظه مع العصابة قد يكون خيرا منه مع القضاء ·

وكان قد سمع كثيرا عن « النزهات » الصغيرة التي ترسل اليها العصابات الامريكية اعداءها ·· ولكنه لم يكن يتوقع ان يساق بمثل هذه السرعة الى احدى تلك النزهات . ومهما يكن من أمر فسيتحقق الان بنفسه مما اذا كانت الروايات التي سمعها كاذبة أو صادقة · ولما كان المثل القديم يقول ان للمعرفة ثمنا فسيدفع القديس حياته ثمنا لما سيعرف ·

واخرج ماكس علبة سجائره من جيبه وقدمها الى تمبلار وهو يقول :

ـ هل لك في سيجارة ·· ؟

— شكراً .. ان التدخين مباح فيما ارى للمحكوم عليه بالاعدام .

وفي الوقت الذي كان فيه ماكس يقدم اليه السيجارة كان جو متحفزاً لاطلاق النار اذا بدرت من تمبلار بادرة تدل على انه ينوى ان ينقض على ماكس .

وجذب تمبلار بضعة انفاس من سيجارته ثم أسند رأسه الى وسادة السيارة وقال متظاهـرا بأن ليس للسؤال شيء من الاهمية :

— من هي هذه الفتاة المسماة فاي .. ؟

فقال ماكس مجيبا :

— ماذا تقصد بهذا السؤال .. ؟

انها « دمية » طبعا .

وكان تمبلار يعرف ان هذا اللقب اي « الدمية » انما يطلق على الفتاة التي يتخذها زعيم العصابة خليلة له .

ان زعيم العصابة رجل دموي يمضي نهاره وليله غارقا بين الجثث لا يفكر الا في اراقة الدماء .. ولكن ماذا عما حانت ساعة اللهو انقلب رجلا آخر لا يفكر الا في اشباع شهواته والاستمتاع بما في الدنيا من جمال .

ولهذا كان لكل زعيم عصابة « دمية » يلهو معها ويزهو امامها بالانتصارات التي احرزها في عالم الجريمة .. ! ولكنه لا يشرك معه دمية في الخطط التي يضعها او في الجرائم التي ترتكبها العصابة .

الدمية امرأة خلقت للمتعة واللهو لا للحكم

والسلطان .. قد تكون رشيقة وقد تكون فتانة الجمال ولكنها لا يمكن ان تكون متوقدة الذكاء .

وكان تمبلار متلهفا الى مضاعفة معلوماته عن فاي ادواردس ولكنه كان يعلم في الوقت ذاته انه لن يظفر بجواب من ماكس اذا وجه اليه في صراحة الاسئلة التي تدور في خلده . ولهذا قال في غير اكتراث كأنما مقتضيات الحديث هي التي تدعو الى ذلك :

— الحق انها فتاة جميلة .. ولكني لا اعتقد ان لها ميزة أخرى غير الجمال .. ان النساء من الغباوة والتقلب بحيث لا يليق بالمرء ان يثق بهن .

فنظر اليه ماكس في عطف وشفقة وقال :

— بل انت الغبي .. انها امرأة ذكية .. ان في دماغها عقلاً لو وزع على عشرة من الرجال لاصبحوا من كبـار الاذكياء .

فهز تمبلار كتفيه في استخفاف وقال : هذا رأيك انت .. اما انا فلي رأي آخر .. كلما ازداد ذكاء المرأة تضاعف خطرها .. قد تبدو المرأة عاشقة لك مدلهة في حبك فاذا اصبح اليوم التالي رأيتها تتخلى عنك لانها عشقت سواك .

فقال ماكس في ازدراء : فاي ادواردس تتخلى عن العصابة وتخونها !

حقا لقد صدق هيمي فيلدر حين نعتك بالجنون . ! فاي تخون العصابة ؟ الا تعلم يا صاح انها حلقة الاتصال ؟ .

فقال تمبلار وهو لا يزال يتظاهر بقلة الاكتراث : حلقة الاتصال ؟

ـ نعم .. انها موضع ثقة « الرفيق الكبير » .. انها حلقة الاتصال بيننا وبينه .. فاذا اراد ان يصدر الينا امرا حملت هى الينا امره .. واذا اردنا ان نبعث الى الرفيق الكبير برأى لنا تولت هى ابلاغه رأينا .. انها الشخص ـ الوحيد فى العصابة الذى يعرف الرفيق الكبير .

وكان تمبلار جامدا فى مكانه لا ينم وجهه عن شىء مما يجرى فى خاطره كأن ليس فى هذا الحديث الذى يسمعه ما يثير الاهتمام .

لو أنه عرف منذ اليوم الاول أن فاى هى حلقة الاتصال لكان له شأن آخر ولعرف كيف ينتفع بهذه المعلومات فى الوصول الى الرفيق الكبير .. أما الآن فأية فائدة لما يعلم وهو مسوق الى الموت ؟

لقد كان ينشد هذه المعلومات منذ اليوم الاول الذى وطئت فيه قدماه الشاطىء الامريكى . ولكنها معلومات لا يمكن أن يرضى رجل من العصابة بالافضاء بها وما جاءته الان الا عفوا وما انفرجت عنها شفتا ماكس الا وهو يعتقد انه يلقى بها الى رجل ميت .

وتنهد تمبلار وقال وتبرات صوته باردة على عهدها :

ـ مما يؤسف له انى سأموت قبل أن أتعرف الى الرفيق الكبير .. كان يسرنى ان اعرفه .

فضحك ماكس وقال : وهذا الشوق هو الذى قادك الى هذا المصير .

فقال تمبلار معترفا : انه فيما ارى رجل عظيم . ولكن الشىء الذى يدهشنى هو أنك وزملاءك ترضون بأن تتلقوا أوامركم من رجل لم تروه فى حياتكم .. أعنى ما الذى يجعلكم تتعلقون به ؟

فضرب ماكس جبينه براحة يده وهو يقول :

ـ ان فى دماغه عقلا .. انه رجل يعرف كيف يبتكر العمل .. ولقد كان العمل نادرا عقب اباحة الخمر .

وهز تمبلار رأسه مستفسرا . فاستطرد ماكس يقول شارحا هذا الغموض :

ـ عندما كانت الخمر محرمة كان المهربون من أسعد الناس .. فلما ابيحت الخمر لم يعد لنا ما نعمله .. وكان يجب أن نعيش وأن نبحث عن عمل نرتزق منه .. وبدأنا نشعر بالضيق والحرج والفاقة .. وفى تلك الايام ظهر الرفيق الكبير فانقذنا مما كنا فيه .

ـ وكيف انقذكم ؟

ـ دبر لنا العمل . انه رجل متوقد الذكاء عظيم الذهن . لا يقدم على حركة صغيرة الا بعد ان يحسب لها حسابا . انه لا يخطىء . فمن عمل فى رعايته أمن الوقوع فى أيدى البوليس .

وظلت السيارة ماضية فى طريقها . وكانت الرحلة طويلة .

لم يكن تمبلار يتوقع طبعا أن يستفيد من هذه المعلومات والموت يرفرف بجناحيه فوق رأسه فقد تكون اللحظة التالية هى اللحظة الاخيرة فى حياته .

ان المعروف عن العصابات أنها لا تجهز على أحد من أعدائها الا اذا احاطته بالمراسيم والتقاليد المعهودة فيوقفونه في مكان ما ويطلقون عليه النار كأنه جندي صدر الامر باعدامه ٠

ولكن من المحتمل أيضا أن تشذ العصابة في هذه المرة عن هذه المراسيم فيكتفي ماكس وصاحبه باطلاق النار عليه وهو جالس بينهما في السيارة والقاء جثته في عرض الطريق ٠

ومهما يكن من أمر ٠ ومهما يكن من أمله في الحياة أو الموت فقد استرسل تمبلار في توجيه أسئلته الى ماكس بنفس قلة الاكتراث التي تظاهر بها من أول الامر حتى يلقي في روع جليسه أنه لا يتعمد استجوابه وأن هذه الاسئلة انما ترددت على لسانه عرضا ٠

وقال تمبلار يسأله : ولكن كيف جاء الرفيق الكبير ؟ أعني كيف ظهر للمرة الاولى ٠ ! فاذا كنتم لم تروه من قبل ولم تسمعوا عنه فكيف يمكن أن تطمئنوا اليه وكيف يمكن أن تعرفوا أنه قد يكون ذا نفع لكم ٠ ؟

فابتسم ماكس وقال :

ـ انه رجل ذكي ٠ وقد دبر كل شيء ٠

ـ ولكن كيف بدأ ٠ ؟ كيف تمكن من الاتصال بكم في أول الامر ؟ كيف سمعتم به في المرة الاولى ؟ ٠

فابتسم ماكس وقال : لا جواب عندي على هذه الاسئلة ٠ فلك أن تخمن الجواب كما تشاء ولديك متسع من الوقت للتفكير ٠

وفي هذه اللحظة هدأت السيارة من سرعتها ففهم تمبلار ما يرمي اليه ماكس وقال : هذا صحيح ٠ ان لدي متسعا من الوقت للتفكير ٠ !

الفصل السابع

عندما خففت السيارة من سرعتها أرسل تمبلار بصره الى الطريق من خلال النافذة الامامية فوجد الاشجار قائمة على الجانبين كأنهم في شبه غابة ٠ ولم تقف السيارة في ذلك المكان وانما انعطفت الى اليمين في حركة حادة وسارت في طريق ضيق تحف به الاشجار المتشابكة الاغصان التي كانت كفيلة بأن تحجب ما يجري في داخل هذا الطريق الضيق عمن يكون سائرا في الطريق العام ٠

وأخذت السيارة تثب وثبات متقطعة كلما مرت بجزء غير ممهد من الارض ٠

وشعر تمبلار بأن المرحلة الاخيرة قد دنت ٠٠ واشتد خفقان قلبه وتوترت أعصابه ٠ ولكنه لم يكن خائفا ٠

وكان الطريق يضيق تدريجيا كلما تقدمت بهم السيارة ٠ وبعد مسير بضع دقائق وقفت دفعة واحدة أمام باب يفضي الى حديقة يحوطها سياج منخفض ٠

وكان هذا المكان في رأي تمبلار أصلح مكان لارتكاب جريمة القتل ٠ ففي وسعهم أن يطلقوا عليه النار دون أن يتراعى دوي الطلقات الى أحد في هذه المنطقة المهجورة ٠ وفي وسعهم ان يتركوا جثته دون أن يجشموا انفسهم مؤونة دفنها وهم مطمئنون الى عدم العثور عليها الا اذا

قادت الصدف أحد الناس يوما الى هذه الحديقة المهجورة ، وقد تقع هذه الصدفة بعد عام أو عامين أو ثلاثة وعندما يكون الناس قد نسوا اسم سيمون تمبلار واعتقدوا أنه اختفى فجأة من تلقاء نفسه كما ظهر فجأة وبهذه الطريقة تتحقق غاية اوكرين واصحابه فيتخلصون من تمبلار دون أن يهيجوا الشعب ضدهم ٠

ونزل ماكس من السيارة وهو مصوب مسدسه الى تمبلار قائلا :

ـ تفضل أيها الصديق العزيز ٠

وخلف تمبلار نزل جو ومسدسه في يده ٠

ولم يكن تمبلار يفكر في هذا الوقت الا في الطريقة التي يتوسل بها الى الفرار ٠٠ كانت كل جارحة من جوارحه متنبهة يقظة ٠٠ وكانت كل عضلة من عضلات جسمه متحفزة حذرة ٠٠ وما شعر في يوم من الايام بالحياة تتدفق في عروقه مثلما شعر بها اليوم وهو يواجه الموت ٠ ولو أن انسانا رآه في هذه اللحظة لاستحال عليه أن يتصور أن هذه الحياة الدافقة الفياضة ٠٠ هذه الحياة الصاخبة العاتية ٠٠ ستخمد بعد لحظات قليلة ٠ !

ودفع ماكس باب الحديقة الذى لم يكن موصدا ودخل يتبعه أسيره وخلفه جو ٠

ولقد خطر لتمبلار أن ينقض على أحد الرجلين محاولا أن ينتزع منه المسدس ٠ ولكنه لم يكن يجهل خطورة هذه الفعلة اذ سيبادره الثاني بطلقة ترديه قتيلا قبل أن يفرغ من خصمه ٠

وأدار تمبلار عينيه في الحديقة الصغيرة وقال : أهذه نهاية المرحلة ؟

فقال ماكس في اقتضاب : ونهاية الحياة أيضا ٠ !

فقال تمبلار في بساطة : حياة من ٠ ؟ أنا أم انتما ؟

فنظر اليه ماكس في دهشة وقال :

ـ امزح كيف شئت ٠٠ فبعد قليل لن تقوى على المزاح ٠

وجعل تمبلار يستعيد الى ذاكرته مآزق قديمة من هذا القبيل ٠٠ كم من مرة وقع فيها في أيدى خصومه وأعدائه ثم استطاع أن ينجو فهل كتبت له النجاة في هذه المرة أيضا ؟

لم يكن في نيته أن يسلم نفسه لقمة سائغة لاعدائه ٠٠ بل كان ينوى أن يجاهد في سبيل الحياة ٠٠ كان ينوى أن يضرب الضربة الاخيرة فاذا أخفقت فلن يخسر شيئا ٠

وارتسمت على شفتيه ابتسامته القديمة ٠٠ ابتسامة التحدى والنضال والاستخفاف بالمخاطر والاهوال والتفت الى صاحبيه وقال :

ـ لقد كنت طول حياتى أتلهف الى معرفة الطريقة التى تتخلص بها العصابات الامريكية من أعدائها ٠٠ ومن حسن حظى أنكما ستشفيان غليلى ٠٠ !

فضحك ماكس وقال :

ـ ثق أننا سنشفي غليلك حتى اللحظة الاخيرة من حياتك ٠

— ولكن ارجوك ياماكس ان تحوطني وانت تقتلني بكل التقاليد والمراسيم المرعية والا مت حزينا !

واوما ماكس بمسدسه الى شجرة قريبة وهو يقول :

— قف عند هذه الشجرة .. انها اصلح الامكنة .

وقد نطق ماكس بهذه الجملة بنفس البساطة التى كان جديرا بأن ينطق بها لو انه كان فى نيته ان يلتقط صورة لسيمون تمبلار .

تفرس فيه تمبلار برهة ثم مشى الى الشجرة المقصودة اذ لم يكن فى وسعه الا الرضوخ .. فما يستطيع المرء ان يعصى امرا لمسدسين مصوبين الى صدره .

ووقف ماكس فى وسط الحديقة واشار الى مساعده جو قائلا :

— فتشه .

ودنا جو من تمبلار وهو يقول :

— لابد من التفتيش لان لبعض الناس ولعا بلبس دروع من الصلب تحت ثيابهم الداخلية .

واخذ جو يفك أزرار تمبلار ويعرى صدره .

ورفع تمبلار يديه متظاهرا بمساعدته فى فك الازرار .. ولكن يده اليمنى استقرت على فك جو فى لكمة عنيفة لو انها اصابت ثورا لصرعته .. وفى نفس الوقت قبض بيسراه على يد جو الممسكة بالمسدس وازاحها بعيدا عن جسمه حتى لا يصيبه الطلق النارى اذا ما ضغط جو على الزناد دفاعا عن نفسه . وفعلا

طاشت الرصاصة عن هدفها واستقرت فى احدى الاشجار . !

وفى اللحظة التالية كان تمبلار قد القى بذراعيه حول عنق جو يضغطه بشدة وقد اجتذبه اليه وضمه الى صدره ليتخذ من بدنه درعا حيا يحميه من رصاصات ماكس .

وقد فوجىء ماكس بهذا الحادث غير المنتظر فرفع مسدسه ليطلق النار على تمبلار ولكنه ادرك ان رصاصاته وهو فى هذا الموقف لن تصيب الا زميله جو . فوثب بضع خطوات متنقلا الى ركن آخر من الحديقة حتى اذا رأى الهدف مكشوفا رفع مسدسه وضغط الزناد .

وقبل أن تنطلق الرصاصة كان تمبلار قد احتمى بالدرع البشرى .

ورآه تمبلار وهو يضغط الزناد فانحرف قليلا ليتفادى الرصاصة المسددة اليه .. ولكنه اخطأ الحساب فشعر بألم حاد يصيبه فى كتفه وعرف أن رصاصة ماكس قد استقرت فى بدنه .

وضغط ماكس الزناد للمرة الثانية ولكن تمبلار كان على تمام الاهبة فى هذه المرة فلم تصبه الرصاصة وانما اصابت درعه البشرى . !

وتراخت يدا جو وافلتت أصابعه المسدس فسقط على الارض .

ولم يكن فى وسع تمبلار ان ينحنى ليلتقطه .. والا كشف نفسه وعرض رأسه وجذبه لمسدس ماكس .

وصاح ماكس قائلا : الويل لك ٠٠ ! انك لن تنجو من يدنا ٠٠ !

ثم رفع عقيرته ينادى سائق السيارة قائلا :

ـ هانك ٠٠ ! تعال أيها المجنون ٠٠ أين أنت ٠٠ ؟

وتذكر تمبلار السائق الذى كان واقفا فى الخارج عند باب الحديقة مهتما بتنظيف سيارته .وعرف أن أمله فى النجاة قد ضعف ٠٠ فقد يكون من السهل أن يقاوم عدوا واحدا محتميا بجثة جو ٠٠ أما أن يقاوم عدوين يتلقاه هذا من اليمين وذاك من اليسار فأمر يقرب من حد الاستحالة ٠٠ !

ولكن السائق لم يجب النداء فصرخ ماكس ثانية قائلا :

ـ هانك ٠٠ ! أين أنت ٠٠ ؟ !

وفى تلك اللحظة فتح باب الحديقة وظهر عند عتبته شبح يمشى فى خطوات رشيقة ٠ وتكلم الشبح قائلا :

ـ الرفيق الكبير يأمرك ياماكس بأن تنتظر ٠٠ !!



لم يكد ماكس يسمع هذه الجملة حتى اتسعت حدقتاه دهشة وتراخى فكه ذهولا ٠٠ ! ولكن الشىء الوحيد الذى لبث ثابتا فى مكانه انما هو ذلك المسدس المصوب الى ناحية تمبلار ٠

وصاح ماكس يقول دون أن يلتفت خلفه : ما هذا ٠٠ !

فأجابته فاى ادواردس قائلة : انه أمر الرفيق الكبير ٠

أما تمبلار فقد شعر وهو يستمع الى هذه الكلمات بأنه

خرج من الموت الى الحياة ٠ وتضاعف أمله فى النجاة اذ كان تدخل الفتاة فى هذه اللحظة كفيلا بأن يهيىء له من الوقت فسحة يلتمس فيها مخرجا ٠

وقال ماكس يسألها فى صوت بارد : ولكن كيف جئت ٠٠ ؟

فأجابته فى صوت أشد برودا :

ـ جئت ماشية ٠٠ ألم تسمع ما قلت لك ٠٠ ؟ ان الرفيق الكبير يأمرك بأن تتركه ٠

فقال ماكس فى لهجة تدل على الاستغراب : ولكنه قتل جو ٠٠ !

ـ فليكن ٠٠ ان أمر الرفيق الكبير يجب أن ينفذ ٠

ونطقت الفتاة بهذه الجملة فى نبرة تنم على أنها لا تعبأ سواء قتل جو أو حشرات مثله ٠

وكان تمبلار يعرف أن مسدس جو لا يزال على الارض على قيد خطوتين منه ولكن كيف السبيل اليه وهو لو تقدم خطوة واحدة وانحنى لالتقاطه للفت اليه الانظار ولكشف من جسمه هدفا لمسدس ماكس ٠

ولكنه كان فى حاجة الى هذا المسدس وكان لابد له أن يحتال على الوصول اليه فأخذ يتزحزح من مكانه تدريجيا ٠٠ بوصة بعد بوصة فى حركة غير ملحوظة مقتربا من الموضع الذى كان المسدس يلمع فيه مغتنما فرصة انهماك ماكس فى التحدث الى الفتاة ٠

ولما ملك ماكس روعه وزالت عنه دهشة المفاجأة قال يسأل الفتاة فى خشونة :

– وما الذى يريد الرفيق الكبير أن نفعله به ٠٠ ؟ هل يريد أن نقتله ؟

– الرفيق الكبير يأمرك بأن تتركه ٠

ولم تكن المسافة التى تفصل تمبلار عن المسدس اذ ذاك لتزيد على ست بوصات فحرك قدمه حتى لمست المسدس ليتأكد من أن بصره لم يخدعه ثم تهيأ للحركة النهائية : فليس عليه الآن الا أن يترك جثة جو وفى الوقت نفسه ينحنى على الارض ويختطف المسدس فى اللحظة التى يرى فيها أن ماكس حول بصره عنه ٠

وقال ماكس فى نبرة فياضة بالغضب :

– كيف أتركه وقد قتل زملاءنا وأصدقاءنا ٠٠ كلا يافتاى ٠٠ قولى للرفيق الكبير انك وصلت بعد فوات الوقت ٠٠ قولى له انك وصلت فوجدت أننا أجهزنا عليه ٠٠ محال أن أخلى سبيل هذا الشيطان المجنون ٠ !

ورفع ماكس مسدسه متهيأ لاطلاق النار على سيجون تمبلار فصاحت به الفتاة : لا تكن مجنونا ٠ !

وتعلقت بذراعه وجذبت يده الى الاسفل ٠

وكانت هذه هى الفرصة التى ينشدها تمبلار فانحنى على الارض فى سرعة البرق واختطف مسدس جو واعتدل واقفا وهو يقول :

– ما هى وصيتك الاخيرة ياماكس ٠٠ ؟

لقد أقسم تمبلار أن ينفذ القانون وأن يجرد قلبه من الرحمة ٠

وضغط الزناد بأصبعه فصرخ ماكس ثم ترنح وسقط على الارض جثة هامدة دون أن يتمكن من اطلاق رصاصة واحدة من مسدسه لان الفتاة كانت لا تزال متعلقة بذراعه على الرغم من محاولته التملص منها ٠

ونظر تمبلار الى الجثتين المطروحتين على الارض وخالجه شعور بالندم فما كان فى نيته أن يقتل أحدا من هؤلاء الزعانف وهو لا ينشد الا الرؤوس الكبيرة أما الفتاة فكانت جامدة فى مكانها تتأمل الجثتين دون أن تتراءى فى ملامحها ذرة واحدة من الندم أو الخوف ٠

وذكره موقفها بتلك الليلة التى قتل فيها سورى والينو ٠ بل ذكره بما كان منها منذ ساعة أو ساعتين حين صدر الامر باعدامه ٠

انها هى دائما بعينيها لا تتغير ولا تتحول ٠٠ نفس الجمود ونفس قلة الاكتراث ٠٠ كأنها قطعة من الصخر وكأن لها قلبا لا يشعر ولا يحس ٠

واقترب منها تمبلار ونظر فى عينيها ٠ ولكن عينيها كانتا جامدتين لا توحيان بشىء ٠ !

ولم تتكلم الفتاة ولم يكن تمبلار ليدرى ما ينبغى أن يصنع اذ كان الموقف غريبا شاذا ٠

وأحنى رأسه فى ايماءة خفيفة وهمس قائلا : شكرا وكانت عيناها جامدتين صامتتين ٠٠ !

وتكلمت الفتاة قائلة : أهذا كل شىء ٠٠ ؟

وحين سمع صوتها الموسيقى سرت فى بدنه تلك

النشوة الجارفة التى ما سمع صوتها الا تدفقت فى اوصاله ·

وحرك تمبلار يديه بشكل يدل على الارتباك وقال :

— هذه هى المرة الثانية التى تنقذين فيها حياتى ؟ ولست أدرى السبب فهل هناك شىء تريدين ؟

فقاطعته الفتاة بقولها : نعم · هناك هذا ·

وعلى حين فجأة وقبل أن يدرى تمبلار بما صنعت الفتاة كانت قد التفتبذراعيها حول عنقه والصقت وجنتها بوجنتيه وتركت جسمها اللدن يتماوج على صدره .!
وفاح من شعرها عبير مسكر طغى على حواسه وضاعف النشوة التى تدفقت فى عروقه حتى لقد خيل اليه انه فى حلم لا فى يقظة · ووجدت الفتاةشفتيه وقبلته ·

وحملق تمبلار فى وجهها دهشا وتمتم قائلا : انى آسف ·

فتباعدت عنه الفتاة وتراجعت خطوة الى الوراء ثم امسكت بذراعيه فى رفق وهى تقول : دعنى أرى جرحك ونزعت عنه جاكتته وضمدت الجرح الذى فى كتفه بمنديلها ومنديله

ثم قالت له : هيا بنا الى السيارة ·

فقال يسألها : ولكن اين السائق ·؟!

فكان جوابها : لقد قتلته · !

وحين خرج تمبلار من باب الحديقة وجد السائق جثة هامدة عند سيارته وبين كتفيه خنجر غارق بين أضلاعه

حتى المقبض فعرف السر فى أن هانك لم يجب حين صاح ساكس يناديه .

ولم ينظر تمبلار الى وجه الفتاة اذ كان موقنا من ان وجهها يكتسى نفس القناع الصخرى الذى يهزأ بالحياة وبالموت على السواء · ذلك القناع الذى لم يرتفع عن وجهها الا فى تلك اللحظة الخاطفة التى طوقته فيها بذراعيها ·

وتولت هى قيادة السيارة وهى تقول :

سأذهب بك الى طبيب أعرفه فى حى باساك

— شكرا لك · ولما خرجا الى الطريق العام لم ير تمبلار السيارة التى كان يتوقع أن تكون الفتاة قد جاءت فيها فقال يسألها :

— ولكن كيف جئت ؟

— اختبأت فى الحقيبة الخلفية عندما كانت السيارة واقفة بباب الحانة ·

وكانت الرصاصة التى اصابت تمبلار فى كتفه قد جعلت قدرا كبيرا من الدماء ينزف من جرحه فظل طول الطريق صامتا لا يتكلم وقد ادركه الاعياء ·

ولما بلغا عيادة الطبيب قال لها تمبلار : يحسن بك ان تنتظرينى فى السيارة حتى ارجع اليك والا وشى بك الطبيب الى زملائك اذا كان ذا صلة بالعصابة ·

— كلا ·· انه ليس متصلا بالعصابة ·

وكان الطبيب خبيرا بمهنته وخبيرا بالمرضى الذين يعالجهم ٠٠!

فما وجه الى تمبلار سؤالا واحدا عن السبب فى اصابته وما ساله عن اسمه وما قال ان واجبه يقضى عليه بان يخطر البوليس !.

ولما فرغ الطبيب من تضميد جرح المصاب واخرج الرصاصة التى كانت مستقرة فى كتفه قال : الف دولار من فضلك ٠ !

وكانت القيمة كبيرة كاجر لعملية جراحية من هذا النوع ولكنها كانت مناسبة كاجر للكتمان وعدم الفضول وبحث تمبلار فى جيوبه فتذكر انه لا يحمل مالا اذ جردته العصابة من محفظته فقال :

ـ انى لا احمل مالا ٠ فهل ترجئنى الى الغد ٠ ؟

ـ بلا شك ٠٠ الى الغد اذن ٠ ولكن ارجوك ان ترسل الى المبلغ أوراقا مالية صغيرة ٠

وشيع تمبلار والفتاة الى الباب ٠

وجلست الفتاة الى عجلة القيادة وقالت تسأل تمبلار :

ـ الى اين اذهب بك ٠٠ ؟

الى نيويورك ٠ وكان تضميد الجرح قد افاده وردت اليه الكاس التى قدمها اليه الطبيب بعض قوته التى فقدها فأردف قائلا :

ـ نعم ٠ ٠ يجب ان نعود الى نيويورك فان مهمة الليلة لم تنته بعد .

ـ ولكنى أراك فى حالة لا تصلح معها للعمل الليلة ٠

فهز رأسه فى اصرار وقال : انى أكره الراحة ٠

وحدجته الفتاة بنظرة فاحصة وقالت : ما الذى جاء بك الى هذه البلاد ؟

فأخرج تمبلار بطاقة صغيرة من جيبه وضعها تحت أنظار الفتاة ٠ وهو يقول : جئت الى هذه البلاد لاقتل ستة رجال ٠٠ وقد قتلت ثلاثة منهم حتى الان : جاك اربول ومورى والينوا وايدى فرلسانج ٠٠ فلم يبق الا ثلاثة ٠

فقالت الفتاة وهى تنظر فى البطاقة :

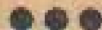
ـ بل لم يبق الا اثنان لان جانسون هو نفسه هانك سائق السيارة انه يدعى هانك جانسون ٠٠ ويظهر ان الدور الان على داتش كيلمان

فحدجها تمبلار بنظرة فاحصة وهو يقول :

ـ ان كيلمان صديق لك فهل تنوين أن تشى بى ؟

فهزت رأسها وقالت ليس لى اصدقاء ٠٠ سأذهب بك اليه الان ٠٠ واذا رأيته خارجا من الحانة فتقدم اليه

فابتسم تمبلار وقال :



ـ وسأؤدى التحية العسكرية اللائقة بمقامه العظيم !

وكان تمبلار يعتقد فى اخلاصها وفى انها ستمهد له السبيل لان ينال كيلمان اذ ليس معقولا ان يكون فى نيتها

استدراجه الى فخ ينصب له وقد كان فى وسعها ان تترك ماكس يقتله اذ ما معنى ان تنقذه منذ لحظات لتقوده الى حتفه فى اللحظة التالية ؟

وفى اللحظة التى كانت فيها فاى منطلقة بالسيارة الى حانة شارلى كان داتش يقول لاعوانه :

ــ حسبى ما انتظرت . فاذا جاء جو وماكس فارسلوهما الى فى دارى .

ونهض كيلمان واقفافنهض فى اثره الحارسان اللذان يتوليان حمايته والدفاع عنه ضد اعتداء العصابات المنافسة .

ولبث كيلمان فى داخل الحانة على مقربة من الباب على حين خرج الحارسان الى الطريق ينظران يمنة ويسرة ليتأكدا من « نظافة » الطريق .

وقال أحد الحارسين يخاطب مولاه : الطريق « نظيف » فتفضل .

وخرج داتش كيلمان الى الافريز وهم بالصعود الى سيارته .

وفى تلك اللحظة لاحت سيارة تقترب من المكان . فلما نظر اليها كيلمان قال يخاطب الحارسين :

ــ ها هى سيارة ماكس وجو .. لقد جاءا فى الوقت المناسب .

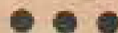
ولبث واقفا على الافريز ينتظر دنو السيارة .

ولما صارت على قيد خطوة واحدة منه رأى فى نافذتها شبحا .

وكان الوقت اضيق من ان يتسع للتقهقر والفرار !

لقد رأى فى النافذة شبح الرجل الذى ارسله الىحتفه منذ ثلاث ساعات .. كان وجهه شاحبا ممتقعا ولكن عينيه كانتا ترسلان وميضا مخيفا !

ودوى فى سكون الليل طلق دوى .. وقبل ان يبلغ داتش كيلمان الارض كانت السيارة قدابتعدت وهى تنهب الارض صوب الشرق !



بينما كان رجال البوليس يغدون ويروحون حول حانة شارلى فى حيرة وارتباك لا يدرون ما يصنعون ــ كانت فاى ادواردس قد امعنت فى الابتعاد حتى اذا بلغت حديقة سنترال بارك اوقفت سيارتها هناك .

وذكر تمبلار فجأة ليلة جاء فيها الى نفس المكان ولكن فى سيارة أخرى يقودها المفتش فرناك .

لم تمض على هذا اللقاء ست وثلاثون ساعة ومع ذلك فقد وقعت خلالها حوادث جسيمة . وراح القديس يسائل نفسه عما يجول فى خاطر فرناك فى تلك اللحظ وهو يرى هذا البركان الثائر الذى يجتاح العالم السفلى .. هذه العاصفة العاتية التى أخذت تكتسح الارض فلا تبقى ولا تذر .

من المحتمل ان يكون فرناك فى هذه اللحظة منطلقا فى ارجاء المدينة منقبا فى اركانها بحثا عن تمبلار ليرضى

باقتناصه اولئك السياسيين الذين يقبضون على زمام الحكم فى البلاد والذين يرون فى بقائه حيا خطرا جسيما على مقاعدهم فى المجالس النيابية .. فلو انه قدر لهما ان يلتقيا مرة اخرى لما كان حديثهما كسابقه وديا مشربا بروح العطف .

واشعلت فاى اموارديس سيجارتها .. ورأى تمبلار وجهها على ومضة الكبريت كالعهد به هادئا جامدا كأنه وجه تمثال من الشمع . ولم يكن فى عينيها خوف او اضطراب فقال فى نفسه :

ـ ليت شعرى ايمكن ان تكون هذه الفتاة قد قتلت رجلا منذ ساعة وعاونتنى على قتل رجل آخر ..؟

والتفتت اليه فاى وقالت : ان اسمى مدرج فى قائمتك فهل ترانى ارتكبت اثما ..؟ لا شك انك تروم منى امرا . فما الذى تبغيه ..؟ ها انا ذا امامك .

فابتسم تمبلار وقال :

ـ انى ما كتبت اسمك الا فضولا منى .. انك عندى بمثابة لغز غامض .. كنت استرق السمع وانت تتحدثين تليفونيا مع القاضى ناتير فكانت هذه اول مرة سمعت فيها صوتك .. وكنت ارقبك واتأمل وجهك وانت جالسة مع مورى والبنو . ولقد اعطيتنى المسدس الذى استعنت به على الفرار من مقر العصابة .. فاردت ان اعرف من انت وماذا كنت .. ما هو ماضيك وحاضرك . ما الذى دعاك الى الاندماج فى العصابة ؟؟ انى رجل فضولى كما ترين .

فهزت كتفيها وقالت : والآن قد عرفت الجواب طبعا .. ؟

ـ اتعتقدين ذلك ..

وما انفرجت شفتا القديس عن هذه الجملة حتى ادركه الندم وعرف ان لسانه قد هفا . اذ تحولت اليه الفتاة ونظرت فى عينيه فاسرع يقول :

ـ عندما ذكرت لماكس ان الرفيق الكبير يأمره بان يطلق سراحى .. لم يكن هذا صحيحا .

ـ وما الذى جعلك تظن هذا ..؟

ـ مجرد تخمين .. ولكننى موقن مما اقول .

ونفثت الفتاة من فمها سحابة كثيفة من الدخان وقالت:

ـ نعم لم يكن صحيحا .. ان الرفيق الكبير مدرج فى قائمتك فهل تريد ان تظفر به أيضا ..؟

ـ بل اكثر من سواه .

ـ انك عنيد قوى الارادة .

ـ انى اريد ان اكتب الفصل الختامى فى هذه الرواية ..

وساد الصمت برهة ومضت الفتاة تدخن وهى غارقة فى خواطرها والقديس يرقبها ويتفرس فى وجهها وهو يسائل نفسه عما يدعوها الى الاندماج فى هذه البيئات الغارقة فى الجشع والدماء .. واولى بمن كانت على مثل

جمالها ان تكون الان فى مخدعها تتجمل وتتزين وتصغى الى مناجاة العشاق .. ولكنها فيما يلوح من طراز يفهم الموت اكثر مما يفهم الحب .. !

وتكلمت الفتاة قائلة :

ـ اظن ان فى وسعى ان ارشدك الى الرفيق الكبير ..

وكان صوتها هادئا يدل على قلة الاكتراث كانما تتحدث عن شيء غير ذي بال .

وقال تمبلار يسألها : ولكنك تعرفينه .. اليس كذلك ؟

ـ انى الشخص الوحيد الذى يعرفه .. !

ـ انه لغز عظيم اليس كذلك .. ؟ كم مضى على معرفتك له ؟

قابلته منذ ثلاث سنوات قبل ان يصبح الرفيق الكبير ، بل قبل ان يسمع به انسان . لقد انتشلنى من وهدة الحياة وانقذنى مما كنت اكابد من الفقر والفاقة .. لقد حدثنى بفكرته فراقت لى اذ كانت فكرة سديدة مدهشة واستطعت ان امد اليه يد المعونة بان جمعت حوله افراد العصابة ولكنهم لم يتصلوا به مباشرة وانما عن طريقى .. وهكذا كنت حلقة الاتصال بينه وبينهم حتى الليلة .

ـ اتقصدين انك اعتزلت العمل ؟ .

ـ كلا .. كل ما هنالك انى غيرت رأيى .

وساد الصمت برهة ثم قال تمبلار : لا شك انه رجل عظيم ! .

ـ انه عظيم .. عندما بدأ العمل كنت اعتقد انه لن يستمر اكثر من اسبوع واحد على الرغم من سداد فكرته فان الفكرة السليمة ليست هى كل شيء فى مهنتنا هذه .. لابد للزعيم من ان يكون ذا شخصية جارفة قوية .. والرفيق الكبير مجرد من الشخصية .. ولاشك انه يعرف ذلك عن نفسه . ولعل هذا هو ما دعاه الى الاختفاء والتستر مكتفيا بمخاطبة عصابته عن طريقى .. بل انه لم يفكر يوما فى ان يخاطب العصابة بنفسه تليفونيا .. انه رجل جبار فى احلامه ضئيل منكمش فى الحياة . لو انهم رأوه لاحتقروه وازدروه فكانت حكمة منه انه اختفى جاعلا منى حلقة للاتصال متخذا لنفسه لقب الرفيق الكبير .

وعاد تمبلار يسألها بقوله :

ـ الم يحاول احد من رجال العصابة ان يكتشف شخصيته ؟ .

ـ لقد تعددت المحاولات التى من هذا القبيل ولكنها باءت كلها بالخسران . لقد اقدم مورى والينو على هذه المحاولة .. وكذلك فعل كيلمان .. وما تركا حيلة الا عمدا اليها .. ولكنهما لم يظفرا بشيء .. وله فى دفع اجور افراد العصابة طريقة ملتوية لا تمكن احدا من معرفته ..

وعلى الرغم من ان جزءا كبيرا من اموال الفدية او الاتاوات المختلفة التى تدفع لاعوانه ـ على الرغم من انها أوراق مالية كبيرة يمكن تتبعها الا انه ظل مع عصابته بعيدا عن الريب والشبهات . نعم انه ذكى حريص .

ولم يكن هناك ما يدعو الى الغرابة فيما ذكرته الفتاة

لقد يكون الرجل جبارا اذا خلا بنفسه.. ضعيفا اذا ما واجه الجماهير .. والرفيق الكبير من هذا الطراز .. يستطيع ان يدير ويحرك العصابة . ولكن من وراء ستار .. انه رجل لا شخصية له .

ولكن السؤال الذى كان لا يزال يتردد فى ذهنه والذى ابى ماكس ان يجيب عليه هو هذا : كيف بدأ الرفيق الكبير عمله .. ؟

فابتسمت الفتاة وقالت : بمائة الف دولار .. كان هذا هو رأس ماله لقد اوفدنى الى مورى والينو لانبئه بانه - اى الرفيق الكبير - يريدان يختطف رجلا معينا لقاء خمسين الف دولار . واغتبط والينو بهذا الاجر الضخم لان العصابة ما كانت لترفض القيام بهذا العمل لو انها نقدت عشرة آلاف دولار . وزود الرفيق الكبير والينو بالمعلومات التى لابد منها ليتم الاختطاف دون ان تتعرض العصابة لاى خطر .. وكانت هذه المعلومات من الدقة والاحكام بحيث تم اختطاف الرجل فى الساعة المحددة دون ان يستهدف احد لاى نوع من انواع الخطر .. واضطر الرجل ان يفتدى نفسه بمبلغ دفعه الى والينو .. ولكن والينو كان يعرف ان نجاح هذه الخطة انما استند الى المعلومات التى زودهم بها الرفيق الكبير .. وكذلك اتصل الرفيق الكبير عن طريقى بدانش كيلمان وعهد اليه باختطاف رجل آخر لقاء نفس الاجر .. وتم هذا الحادث ايضا بنفس النجاح الذى تم به سابقة فلم يكن اسهل اذ ذاك من ان يجمع الرفيق الكبير تحت ظله والينو وعصابته وكيلمان وعصابته فتألف من بينهما عصابة واحدة تأمر بامره وتنفذ ما يشير به دون تردد ودون ان يفكر احد منهم فى الانفراد بنفسه وهم يعلمون ان نجاحهم

متوقف على المعلومات الدقيقة التى يزودهم بها الرفيق الكبير .. ومن هذا ترى كيف استهل حياته .. ورجال العصابات كما تعلم قد يكونون مفطورين على الجراة ولكنهم ليسو مفطورين على الذكاء .. قد يستطيع الواحد منهم ان ينطلق فى الطريق ومسدسه فى يده يقذف بالنيران يمنة ويسرة دون ان يهاب شيئا .. ولكنه لا يستطيع لحظة واحدة ان يفكر او ان يضع خطة سديدة .. فكانت مهمة رجال العصابات ان يطلقوا النار اما مهمة الرفيق الكبير فكانت ان ينبئهم فى الساعة التى يطلقون فيها النار والمكان الذى تطلق فيه .

وهنا عرف تمبلار جواب السؤال الذى ينشده .. عرف السر الذى جعل رجال العصابات يخضعون للرفيق الكبير ولا يفكرون فى الغدر به .

وقال تمبلار يسألها : وعلى هذا المنوال استمر العمل ؟

- نعم .. ولكن مع فرق بسيط .. هو ان الرفيق الكبير استمر يستأجر والينو وكيلمان وعصابتيهما للقيام باعمال فردية من هذا القبيل لقاء اجر معين لارتفع هذا الاجر تدريجيا الى درجة يستحيل معها مواصلة العمل .. فرأى ان يعدل عن خطة الاستئجار الى خطة اخرى قائمة على اساس اقتصادى .. لماذا لا يجعلهم شركاء له .. ، وهذا هو ما حدث فعلا . لقد اتفق مع زعماء العصابة على ينقدهم مرتبا شهريا ثابتا للانفاق منه وسد الحاجات الضرورية . أما ما بقى من مبالغ الفدية فيودع بنكا معينا حتى اذا انقضت ثلاث سنوات وزع الرصيد بالتساوى بين الزعماء .. لقد كان عددهم سبعة قبل حضورك .. اما الآن فلم يبق منهم الا

اثنان .. وهذا معناه ان الرفيق الكبير وصاحبه كيرلي ابيولينو سيقتسمان الرصيد معا على قدم المساواة فموت هؤلاء الزعماء كان نعمة كبيرة على الرفيق الكبير وصاحبه اللذين لا يزالان على قيد الحياة لانهما سيصبحان الوريثين الوحيدين للفديات المتراكمة التى بلغت عشرين مليونا من الدولارات .

فابتسم تمبلار وقال : هذا اذا بقيا على قيد الحياة .. ولكن أين كيرلي ابيولينو .. فانى لم اعثر عليه بعد ؟

ـ لقد سمعت انه فى بتسبرج ولست ادرى الحقيقة .

وابتسم تمبلار وقال فى نفسه :

ـ يا لسخرية الاقدار .. ! لقد جئت هذه البلاد لاقضى على الرفيق الكبير فاذا بى اخدمه عن غير قصد بتخلصه من شركائه فى الميراث .. ! ليت شعرى هل خطر ببال فالكروس وهو يستنجد بى انى ساخدم بعملى غرضين متناقضين : العدالة .. والجريمة .. !

والتفتت فاى ادواردس الى تمبلار وقالت :

ـ اتريد ان تعرف شيئا آخر ..

ـ بل أشياء كثيرة .. يمكنك ان تقولى لى من هو الرفيق الكبير .

فهزت رأسها وقالت لا يمكننى .

ـ ولكنك قلت انك سترشديننى اليه .

ـ بل قلت انى « اظن » ان فى وسعى أن ارشدك اليه .. انى لا ازال مترددة .. لقدوعدته بأن اكتم اسمه

عن كل انسان .

واشعل تمبلار سيجارة جذب منها بضعة انفاس ثم قال :

لنفرض انى قابلتك صدفة وانت مع الرفيق الكبير فاستنتجت ان هذا هو صاحبى المنشود دون ان ترشدينى انت الى ذلك فهل يثور عليك ضميرك ؟

ـ كلا بالطبع .. لقدوعدته بان لا اشى باسمه وهذا كل ما هناك .

ـ شكرا لك .. انى راض اذن بان ترشدينى الى مكان يتردد عليه الرفيق الكبير . وليكن فى هذا المكان مائة شخص او الف فانى لن اعجز عن تمييزه من بينهم .

فاحنت رأسها وقالت : سافعل .

ثم القت بسيجارتها من نافذة السيارة وقالت فى صوت هادىء ثابت :

ـ لقد سمعت عنك بمجرد وصولك .. وكنت اتمنى ان أراك فلما رأيتك لم أعد اعبأ بشىء فى الدنيا .. اصبحت انت فى عينى الدنيا بأسرها .. ! لقد انتظرتك طول حياتى فهل اتخلى عنك أو اتردد فى أمر يتصل بك . لقد كانت حياتى جدباء اما الآن .

وكان تمبلار فى حيرة من أمره وهو يصغى الى هذه الكلمات لم يكن فى امكانه ان يلقى بذراعيه حول عنقها ويجتذبها الى صدره وهناك فى انجلترا فتاة اخرى تنتظر عودته بفروغ صبر .. ولم يكن فى امكانه ايضا ان يقول

لها انه ليس خلي القلب ٠

ولكنها لا تنتظر منه جوابا ٠٠ كانت كأنها تخاطب نفسها بهذه الكلمات فما انفرجت عنها شفتاها حتى انطلقت ثانية بالسيارة وهي تقول مغيرة مجرى الحديث

ـ ان الرفيق الكبير معجب بك اشد الاعجاب ٠٠ ولشد ما كان يتمنى ان يضمك الى رجاله ٠٠ ولكنه كان يعلم ان العصابة ناقمة عليك لفتكك ببعض زعمائها فأوصاني بأن ارفق بك اذا وقعت في أيديهم وان أحاول أن احميك وانقذك من نقمتهم ٠٠ لقد كان يعتقد ان سيجيء يوم يتمكن فيـه من ان يضمك اليـه ٠ واوقفت السيارة في شارع لكسنجتون وهي تقول : اين نلتقي ؟

ـ ومتى يكون هذا اللقاء ؟٠

ـ اني اعتقد اني سأتيك ببعض الانباء بعد ساعتين او ثلاث فكر تمبلار برهة ثم قال : اتعرفين مطعم كريس بلليني في الشارع رقم ٤٥ ٠ ؟ قد لا أكون موجودا هناك ولكن في وسعك ان تتركي لي مع صاحب المطعم أي رسالة تشائين ٠٠ انه رجل مأمون الجانب ٠

فوضعت يدها في رفق على كتفه وهي تقول : الى اللقاء اذن ٠

ورفعت وجهها اليه ٠٠ وفاح في شعرها العطر المسكر ٠ وسرت في أوصاله نشوة ثملة ٠ ومال فوقها تمبلار وقبلها ٠ !

وهمست الفتاة تقول في صوت رقيق : الى اللقاء ٠

ومشى تمبلار الى الفندق وهو غارق في خواطره ٠

كان يفكر في هذه الفتاة الغامضة التي تخلت عن ماضيها وأولت ظهرها للرفيق الكبير خضوعا لنداء الحب ٠ !

ثم عاد يذكر الرفيق الكبير ٠٠ ذلك اللغز الخفي الذي يتستر بالظلام دون ان يدري أحد من أمره شيئا ٠ ولكن القديس سيكشف شخصيته في تلك الليلة ٠٠ فبعد ساعتين او ثلاث ستحمل اليه أسلاك التليفون الرسالة التي يتلهف اليها وعندها تضع الحرب أوزارها ٠

وبينما كان المصعد يشق طريقه الى الطابق الاخير من فندق استوريا كان القديس لا يزال غارقا في هذه الخواطر

وحين فتح باب المسكن راى الانوار مضاءة في جميع الغرف ولكنه لم يسمع صوت فالكروس يحييه كالمعتاد فقال في نفسه :

ـ لا ريب انه أقام في انتظاري طويلا فغلبه النوم وهو في مقعده ودفع باب قاعة الاستقبال ودخل ٠ وكانت مضاءة ايضا شأن بقية الغرف ٠

وشعر بحركة في ركن القاعة فظن ان فالكروس شعر بقدومه فنهض لاستقباله ٠ ولكنه حين التفت رأى أن فالكروس لم يكن أحد الرجلين اللذين هبا لاستقباله ٠٠ !

ورفع تمبلار يده على عجل ليطفيء نور القاعة فشعر في الحال بوخزة اليمة في ذراعه ٠٠ ولاول مرة منذ ثلاث ساعات ـ ذكر الرصاصة التي اصابت كتفه ٠٠ لقد جعلت عضلاته متصلبة عاجزة عن سرعة الحركة ٠ فقبل ان تبلغ يده الزر الكهربائي كان هناك مسدس قد صوب اليه وسمع صوتا يقول : اياك ان تتحرك ٠٠ والا فالويل لك ٠٠

الفصل الثامن

التفت تمبلار الى الرجلين وقال : يا للمفاجأة السعيدة .. ! انى أحب دائما ان استقبل اصدقائى على غير انتظار .. !

ولقد نطق بهذه الجملة فى بساطة وقلة اكتراث ولكن ادهشه تهدج صوته والقى نظرة على المقعد الكبير الذى إعتاد ان يرى بيل فالكروس جالسا عليه وقال ولكن ماذا تعلمتم ببيل .. ؟

فصاح الرجل البدين ، من هو بيل .. ؟

فابتسم تمبلار وقال :

— انى آسف .. لا تهتما بما أقول .. بيل مجرد اسم خيالى ولكن لا داعى لان تذكرا الى اسميكما . فانت بضخامتك لابد ان تكون هاردى وصاحبك الضئيل الهزيل لابد ان يكون لوريل .. ! مرحبا بكما يا لوريل وهاردى .. لقد رأيت كثيرا من أفلامكما وهذا اللقاء فرصة سعيدة .

فتبادل الرجلان نظرة غيظ وقال الذى نعته تمبلار بانه لوريل

— انه مجنون . لابد ان يكون مجنونا .

ولقد سمع تمبلار عشرات من الناس ينعتونه بالجنون فكان لا يحفل بما يقولون .. اما الان ولاول مرة فقد ادرك انه مجنون حقا ..

فلو لم يكن مجنونا لما دخل المسكن دون ان يتخذ أية

حيطة .. لو لم يكن مجنونا لرابه رؤية الانوار مضاءة فى جميع الغرف .

ولكنه كان مجنونا .. وكان منهمكا فى التفكير فى المقابلة المنتظرة بينه وبين الرفيق الكبير . وجعل يتأمل الرجل فى اهتمام .

وتقدم هاردى الى وسط الغرفة ودار حول المائدة وشرع يفتش القديس فجرده من مسدسه ورماه الى صاحبه ثم وضع مسدسه الخاص فى جيبه وهو يقول فى صوت أجش والان ماهو اسمك .. ؟

فقال تمبلار فى صوت مرح :

— انهم يسموننى رودلف فالنتينو .. فما هو اسمك انت .. ؟

فقطب الرجل البدين جبينه وقست عيناه وقال مزمجرا :

— انك تعرفنا طبعا .

— لم اتشرف بعد بمعرفتكما .. لقد خمنت انكما لوريل وهاردى ولكن يظهر انى كنت مخطئا .

— اننى ادعى كيترى .. وهذا هو البوليس السرى يوناشى .. انا من رجال البوليس فهل انت راض .. ؟

وكان الرضاء اقل ما يمكن ان يوصف به شعور سيمون تمبلار فى هذه اللحظة فما خطر له عند دخوله الغرفة ان هذين الرجلين من الشرطة .. بل ظن انهما من رجال العصابة جاءا ليفتكا به . وكان يتوقع ما بين لحظة

واخرى ان يرى سيلا من النار ينهمر من المسدسات ليريحه قليلا .

ونظر تمبلار الى حذائى الرجلين الضخمين وقال

ـ لقد خمنت هذا .. ان الحذاء الضخم هو بطاقة رجال البوليس انى سعيد بقدومكما فلاشك ان رسالتى بلغتكما ؟

ـ اية رسالة .. ؟

ـ الرسالة التى دعوتكما فيها الى الحضور فضاقت عينا كيترى وقال : هل انت صاحب هذه الرسالة ؟

ـ بكل تأكيد .. لقد كنت مشغولا فعهدت الى صديق لى بان يؤديها بالنيابة عنى . فهز الشرطى الضخم رأسه وقال :

ـ هذا بديع فلماذا اردت ان تستدعينا ؟

ولم يكن تمبلار فى الواقع قد انفذ اليهما رسالة كما ادعى ولكنه تعمد بان يقول ذلك ليستدرجهما الى الحديث حتى يتبين الحقيقة .

ولكن من الذى وشى به وارشد البوليس الى هذا المسكن .. ؟ ادواردس ؟ ولكنها لا تعرف مخبأه . ؟ سائق السيارة الذى اركبه يوم مصرع بابيلوس .. ولكن كيف عرف السائق المخبأ وقدحرص تمبلار على تضليله ؟

وعادكيترى يقول مرددا سؤاله : لماذاستدعينا .. ؟

ـ لقد ظننت انه يهمكما ان تعرفا نبأ عن الرفيق الكبير

فقال الشرطى فى شىء من الدهشة حقا .

ثم استحالت دهشته غضبا وصاح فى صوت داو كالرعد :

ـ أيها الكذاب القذر .. هل تهزأ بى .. ؟ لقد قال صاحب الرسالة التليفونية : « اننى الرفيق الكبير .. ستجدون سيمون تمبلار فى الطابق الذى يشغله مستر فالكروس فى فندق استوريا .. عليكم به فقد ضقت به ذرعا .. » فهز تمبلار رأسه وقال :

ـ لابد انه كان سكران .

ولكنه عرف ان الذى وشى به هو الرفيق الكبير .. ولكن كيف اهتدى الى مخبئه .. !

وكان كيترى يحدق فى وجه تمبلار فقال بغتة :

ـ لقد عرفتك .. انت سيمون تمبلار فتمتم تمبلار قائلا :

ـ اهنئك ايها الاخ . انك دقيق الملاحظة متوقد الذكاء فلم يرق هذا المزاح فى نظر الشرطى واحمر وجهه غضبا وصاح قائلا :

ـ امزح ما شئت فبعد قليل سيجىء دورى فى المزاح .. اولى بك ان تجيب على ما تسأل عنه فى صدق وصراحة قبل ان يستولى على الغضب .

واحنى تمبلار رأسه دون ان يتكلم كان يفكر فى مصيره ومستقبله .. اتكون هذه هى النهاية .. ؟ اقضى عليه بان يختتم حياته بهذه الهزيمة السخيفة ؟ لقد نجا عشرات المرات من شرطة يعدون اذكى قوم فى العالم فهل يقع فريسة سهلة بين ايدى هذين الغبيين .. ؟

وتكلم تمبلار قائلا : وماهى هذه الاسئلة التى تريد ان توجهها الى ؟

فصاح كيترى قائلا : اين ذلك المدعو فالكروس ؟

- لا ادرى وكان تمبلار صادقا فى هذا الجواب •

وقبل ان يدرى ما حدث كان كيترى قد رفع قبضته الضخمة وسدد الى فكه لكمة جعلته يترنح ويصطدم بالجدار خلفه •

وصاح كيترى للمرة الثانية : اين فانكروس ؟

وللمرة الثانية اجاب تمبلار قائلا : لا ادرى !

ولكنه عقب بقوله : لقد رأيته لآخر مرة فى قفص القرود بحديقة الحيوانات متنـكرا مع عينـة رجال البوليس •

وللمرة الثانية ارتفعت يد كيترى ولكمت تمبلار فاستند الى الباب خشية السقوط اذ كان على غاية من الاعياء بسبب ما نزف من جرحه من الدماء

- قلت لك اين فالكروس ؟ وهز تمبلار رأسه دون ان يتكلم لان سمعه كان بطئ وعينيه زائغتين وقوته تكاد تخونه • ولكن كيترى لم يكن يعرف معنى للرحمة فصاح فى صوت غاضب قائلا :

- اذن فانت لا تنوى ان تتكلم • • ؟

فقال تمبلا فى كلمات متقطعة :

- ان من عادتى ان لا اتكلم مع القرود اذا كنت تعتقد انك بالكلمات تصبح شرطيا سريا فانت بلا شك انبغ رجال الشرطة •

واحمرت عينا كيترى وصاح : انى ساعرف كيف ارغمك على الكلام ورفع يده للمرة الثالثة ولكم تمبلار فى فكه فترنح وامسك بالمائدة لكى لا يقع على الارض •

ودنا منه كيترى واخذ بتلابيبه وجعل يهزه هزا عنيفا •

ولاول مرة فطن الى الدماء التى تلوث ثيابه والى الضمادات المعقودة حول كتفه فقال فى غلظة : كيف اصابك هذا الجرح !؟

عضتنى نملة ؟

وامسك كيترى بذراع تمبلار المصاب ولواها خلف ظهره فى عنف فأحس تمبلار بالم شديد يسرى فى بدنه وشعر كانما يوشك ان يفقد الوعى وكان موقنا ان احتماله لن يطول •

ولكن رجال البوليس الامريكى ما كانوا ليرحموا انسانا حتى ولو راوه مسجى على فراش الموت اذ لابد من ان ينتزعوا منه الاعترافات باتباعهم الطريقة التى يطلقون عليها « الدرجة الثالثة » • • • وهى طريقة تقتضى منهم ان يضربوا المتهم بهراوة من المطاط وان يرغموه على عدم النوم بضعة ايام وان يلووا ذراعه خلف ظهره ولو كان جريحا تنقطر منه الدماء •

وفى تلك اللحظة دق جرس الباب فقال كيترى مخاطبا زميله :

- انظر من الطارق •

وخرج بوفاتى الى الردهة بينما ظل كيترى قابضا على ذراع تمبلار وهو يلويه خلف ظهره منتظرا دخول القادم •

ولم يكن القادم الا المفتش فرناك !

ووقف فرناك على عتبة الغرفة وازاح قبعته الى الوراء واخذ المكان بنظرة شاملة ولم يكن فى وجهه ما ينم عن الدهشة او العجب •

وقال فى صوت بارد : ماهذا • ؟

فاجابه كيترى فى لهجة تدل على الزهو : اقتنصنا سيمون تمبلار ولكن المدعو فالكروس غير موجود الان • • ولكننى ساعرف كيف ارغم هذا الاخرس على الكلام • لقد شرعت اجرب معه الدرجة الثالثة •

فصاح المفتش فرناك فى صوت يدوى كالرعد : ماذا تقول ؟ شرعت تجرب معه الدرجة الثالثة .. يالك من مجنون . ! من علمك ان تفعل هذا هنا . ؟

فازدرد كيترى ريقه وقال فى ارتباك : ولكنه لا يريد ان يتكلم أيها الرئيس . كان يمزح ويهزأ كأن الامر هزل لا جد . وكنت أريد ان اعرف اين ذهب فالكروس .

فقال فرناك متهكما : وهل هذا هو ما تعلمته فى ادارة البوليس .. يالها من فكرة بديعة استمر فى عملك يا كيترى يمكنك ان تقلب المقاعد والموائد .. يمكنك دق الطبول وتقرع الاجراس .. يمكنك ان توقظ أهل الفندق جميعا وان تستدعى مخبرى الصحف حتى يشهدوا كيف يعذب البوليس المتهمين يالك من غبى . ! أهذا مكان يصلح « للدرجة الثالثة » ؟.

وانكمش كيترى الضخم العملاق أمام كلمات رئيسه . وصاح فرناك قائلا : دع القديس واستدع احدى السيارات وانتظرنى عند الباب حتى أنزل اليك . اما انت يابوناشى فانتظر فالكروس هنا حتى يحضر .

وكان تمبلار شديد الاعجاب بما لفرناك من البأس فى نظر مرؤوسيه فقد خرج كيترى من القاعة وهو يتعثر فى خطواته على حين انزوى بوناشى فى احد الاركان .

ونظر فرناك الى تمبلار طويلا ورأى الدماء العالقة بثوبه . ولكن وجهه كان على عهده جامدا لا ينم عن شىء كأنه نحت من الجرانيت .

ثم قال فجأة : تعال معى .

واخذ بذراع تمبلار وقاده الى المصعد فهبطا الى الطابق الارضى دون ان يتبادلا كلمة واحدة .

وكان كيترى فى انتظارهما داخل السيارة فصعدا اليها وأمر المفتش السائق بالمسير .

وبعد فترة من الوقت وقفت السيارة فخرج منها فرناك وقال:

ــ انزل هنا .. لقد وصلنا .

وكان تمبلار يتوقع ان يجد نفسه امام المركز العام لادارة البوليس ولكن فرناك التفت اليه والى كيترى وقال : هذا هو مسكنى . !

ثم وجه حديثه الى كيترى قائلا : يمكنك ان تنصرف ياكيترى على أن ترجع الى فى الصباح فان لى حديثا مع تمبلار طاب مساؤك .

ثم اخذ بذراع تمبلار ثانية وقاده الى داخل المنزل تاركا وراءه كيترى مذهولا يسائل نفسه عن السر فى هذا السلوك الشاذ الذى ظهر به رئيسه .

وعندما دخل تمبلار الى المسكن ادهشه ان يجد قاعة الاستقبال عامرة بالكتب اذ المعروف عن رجال البوليس انهم اقل الناس شغفا بالاطلاع والقراءة وفطن فرناك الى دهشة أسيره فقال : على المرء أن يطلب العلم ولو كان فى أرذل العمر . انني مولع بالادب الاغريقى القديم . الم تسمع من قبل عن شاعر يدعى هوميروس .. ؟ لقد سألت عنه موظفا فى احدى الشركات فأكد لى انه لابد أن يكون من زعماء العصابات فى شيكاغو .

وعلق فرناك قبعته على الشماعة وتناول زجاجة من فوق المائدة وقال :

ـ هل لك فى قدح من الشراب ؟ .

ـ شكرا لك .

وصب فرناك الخمر فى كاس صغيرة وقدمها الى تمبلار بينما أشعل سيجارة وأخذ يدخن فى هدوء .

ثم قال فجأة فى اقتضاب : انك مجنون يا تمبلار .. !

فهز تمبلار كتفيه وقال : ألسنا كلنا مجانين .. ؟

ـ لقد اردت ان أقول انك أكبر المجانين . ! لقد تحدثت اليك مرة وأنذرتك بما سيكون ولا شك أنك تعرف الآن ما يقضى به على الواجب .

فصاح تمبلار فى صوت غاضب : انى أعرف .. ومن يقابل مساعدك كيترى لابد أن يعرف .. هيا أعد الهراوة وجهز آلات التعذيب .. !

فقال فرناك فى صوت هادىء : لقد عرفنا بالتجربة ان « الدرجة الثالثة » اصلح وسيلة لانتزاع الاعتراف من المجرمين . ولكننى لا أحب ان أستعملها مع جميع الناس بلا استثناء .. لقد أتيت بك الى بيتى لنتحدث فى مسألة أخرى .. الم تقترب بعد من الرفيق الكبير .. ؟

وقد ألقى فرناك السؤال فى صراحة وبدون مواربة فآثر تمبلار أن يعمد فى جوابه الى نفس هذه الصراحة فقال : انى انتظر رسالة تليفونية تصلنى بعد ساعة .. وستكون هذه الرسالة طريق الى الرفيق الكبير .

وهز فرناك رأسه وجعل يتفرس برهة فى وجه تمبلار ثم قال :

ـ لن أسالك كيف بلغت فى أبحاثك هذه المرحلة .. ولن أسالك عن اسم الشخص الذى سيأتيك بهذه الرسالة .. انى أعرف انك داهية اريب .

وساد الصمت برهة ثم مد فرناك يده فى جيبه وأخرج مسدسه وهو يقول :

ـ ان للمسدسات نفعا عظيما فى مثل هذه المعارك .. فلو لم يصبك هذا الجرح الذى فى كتفك لما استحال عليك أن تتخلص من كيترى وبوناشى ..

ولوح بمسدسه وهو يقول :

ـ ولو كان هذا المسدس فى يدك الآن لعرفت كيف تتخلص منى .

ثم وضع المسدس على المائدة فى غير اكتراث .

وكان المسدس على قيد ياردتين أو ثلاث من قبضة تمبلار فلو أنه شاء لما تعذر عليه أن يختطفه . ولكنه بدلا من ذلك تناول كاسه ورشف منه جرعة اخرى وهو يقول :

ـ فرناك .. اتريد أن تلعب معى لعبة القط والفار .؟

واسترسل فرناك يقول كأنما لم يسمع هذه الجملة :

ـ لو أنك اختطفت هذا المسدس الآن لاوقعتنى فى مأزق حرج لا أدرى كيف الخلاص منه لامسيه ! بعد أن أتيت بك الى بيتى وأمرت كيترى بالانصراف فان اللوائح تحرم رجال البوليس أن يذهبوا بالمتهمين الى دورهم . وفضلا عن هذا فقد كان ينبغى أن آمر كيترى بالبقاء لينضم الى اذا خطر لك أن تتخلص منى .. فاذا حدث الآن انك هربت فلن يصفح عنى رؤسائى ولن استمر فى منصبى يوما واحدا .. ألست معى فى ذلك يا تمبلار .

ولبث تمبلار مكانه صامتا لا يتكلم وهو يدخن سيجارته ·

ونهض فرناك واقفا ومشى الى ركن الغرفة وفتح دولابا صغيرا قائما هناك ليأتي بصندوق السجائر ·

وكان المسدس لا يزال على المنضدة فى متناول يد سيمون تمبلار ··

وكان فرناك موليا ظهره نحوه لا يلتفت اليه · فلو ان تمبلار مد يده وأخذ المسدس لما رآه فرناك ·· ولو رآه لاستحال عليه ان يمنعه ·

وقال فرناك وهو لا يزال فى ركن الغرفة :

ــ ولكن يمكنني أن أقول من الناحية الاخرى أن هناك حوادث جساما قد تقع حتى الصباح ·· فمن ذلك مثلا أن الرفيق الكبير قد يقع فى أيدى البوليس ·· ان الشعب يريد الرفيق الكبير أكثر مما يريدك أنت ·· ومهما فعل الشرطى الذى يقبض على الرفيق الكبير فلن يجرؤ السياسيون على طرده من منصبه خشية غضب الشعب ·· فاذا فرضنا أنك هربت منى فلن يجرؤ أحد على أن يرفع يده فى وجهى اذا أنا تمكنت من اقتناص الرفيق الكبير ·

ورجع فرناك الى مقعده وكان المسدس لا يزال فى موضعه على المنضدة فقال يخاطب تمبلار : حقا انك رجل شريف ·

وتكلم تمبلار للمرة الاولى فقال : لنفرض أنك اقتنصت الرفيق الكبير فهل لذلك فائدة ·؟ ليس فى نيويورك من رآيته أو عرفته فكيف تثبت ضده التهمة ·؟ من أين لك الشهود الذين يقسمون بأن هذا هو الرفيق الكبير ·؟

فقال فرناك فى صوت ذى نبرة كأنها حد السيف :

ــ انى لست فى حاجة الى الشهود ·· اذا جاءنى رجل مثلك وقدم الى شخصا وقال : « هذا هو الرفيق الكبير » فقد كفانى هذا برهانا قاطعا ·· انى أومن بكل كلمة ينطق بها رجل مثلك ·· واذا ما وقع الرفيق الكبير فى يدى عرفت كيف انتزع منه اعترافا كاملا ·· ان « الدرجة الثالثة » لم تخلق عبثا ·

واطفأ تمبلار سيجارته فى المنفضة وقد سرت فى عروقه دماء جديدة · وخيل اليه على رغم قوته المنهوكة انه أصبح أهلا للقتال ·· ودوت فى أذنيه طبول الحرب وذهب عنه هذا الضعف الذى كان يشعر به حتى لقد خيل اليه أن الدماء التى نزفت من جرحه جددت نشاطه ولم تنهكه ·

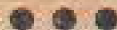
كان يشعر فى هذه اللحظة بانه ليس أهلا لمقاتلة الرفيق الكبير فحسب · وانما لمقاتلة عشرات من أمثاله ·

ونهض واقفا وتناول المسدس فدسه فى جيبه وقال مخاطبا فرناك :

ــ شكرا لك ·· سأعود اليك فى الساعة العاشرة صباحا ·· مع الرفيق الكبير أو بدونه ·· !

فقال فرناك : الى اللقاء الآن وأرجو لك التوفيق ·

وبعد دقائق كان سيمون تمبلار يغادر البيت وفرناك يوصد الباب خلفه ·



لم يكد تمبلار يدق الجرس حتى فتحت كوة صغيرة فى الباب ظهر خلفها كريس بللينى فعرف زائره على الفور واستقبله فى ترحاب ملموس :

ـ ادخل يا مسيو تمبلار ·· انى سعيد بان اراك مرة اخرى ·

ومشى امامه صوب القاعة فقال له تمبلار : هل لديك احد ؟

فهز كريس راسه وقال :

ـ كلا ·· لقد انصرف ، الاولاد ، فلا تخش شيئا ·

واجلس تمبلار الى احدى الموائد واتاه بقدح وزجاجة من الخمر · ولما فطن الى الدماء العالقة بثوبه تجهم وجهه وقال :

ـ الم تعرض نفسك على طبيب ؟

ـ نعم ·· والاصابة بسيطة فكن مطمئنا ·

وهز كريس راسه وقال :

ـ ان الشيء الذى يحيرنى هو بقاؤك حيا حتى اليوم ·

وكان كريس وهو يتكلم يتظاهر بعدم الاهتمام والمرح ·· ولكن لم يخف على تمبلار ان نبرات صوته تنم على قلقه وانزعاجه فقال له :

ـ كن مطمئنا .. ان هذه الاصابة لن تقتلنى .. قال الطبيب انى قد اصاب بحمى خفيفة ·· وهذا هو الشئ الوحيد الذى انزلته بى هذه الرصاصة ·

وفى هذه اللحظة دق جرس التليفون فانبعث تمبلار واقفا وهو يقول :

ـ اظن هذا النداء لى ·

وتناول السماعة ووضعها على اذنه فسمع صوتا خشنا يقول :

ـ هالو ·· اهذه انت يا مابيل ؟

فقال تمبلار فى حنق : كلا ·· اننى لست مابيل ·· وانى ارجو اذا عثرت عليها ان تغمد خنجرا فى صدرك !

ورد السماعة الى مكانها فى الوقت الذى كان فيه مستر بانج يسب ويلعن عند الطرف الاخر من السلك ·

ورجع تمبلار الى مقعده فى خطوات بطيئة متراخية تدل على الاعياء اذ كانت الحمى قد بدأت مفعولها فضلا عن الصدمة العصبية التى اصابته حين خاب رجاؤه فى الحديث التليفونى ·

وبعد عشر دقائق دق جرس التليفون للمرة الثانية فنهض واقفا وقد تجدد نشاطه ولما تناول السماعة سمع صوتا نسائيا يقول :

ـ اننى فاى · ووثب قلب تمبلار فى صدره واشتدت قبضته على السماعة والصقها باذنه بشدة كانما يخشى ان تفلت منه الكلمات ·

وقال تمبلار يسالها :

ـ ما وراءك من الانباء ؟

ـ لقد بحثت عنه طويلا فلم اهتد اليه ولو لبثت ساهرة حتى الصباح ·

ـ اذن ساظل فى انتظارك هنا ·

فقالت الفتاة فى رفق :

ـ يحسن بك ان تنشد شيئا من الراحة ·

وكان صوتها موسيقيا عذبا فياضا بالحنان والرحمة ·

واجابها تمبلار بقوله : لن تطيب لى الراحة الا اذا اهتديت اليه ·

ولما رجع الى مقعده قال له كريس :

— انك بادى الاعياء فلم لا تنام قليلا .. ؟ ان لدى فراشا فى الطابق الاعلى .

— ومن يلبى التليفون اذا استدعانى ؟

— ان نومى خفيف فكن مطمئنا .

وتردد تمبلار قليلا ولكنه كان يشعر بمسيس الحاجة الى الراحة .

وفضلا عن هذا فلم يكن فى وسعه ان يعمل شيئا الا اذا بلغته رسالة فاى ادوارنس فلن يفيده شيئا بقاؤه مستيقظا .

واستيقظ تمبلار فى الصباح والشمس تغمر الارض وبلليني واقف عند رأسه يناديه .

فلما فتح عينيه قال له الايطالى : انك مطلوب على التليفون .

فنظر تمبلار فى ساعته فوجد انها تشير الى الثامنة صباحا فنهض مسرعا ونزل الى الطابق الارضى وهو يحس انه استرد نشاطه وقوته .

ولما وضع السماعة على أذنه سمع صوت الموسيقى المحبوب يقول : لقد سرنى انك نمت واسترحت .

وقال تمبلار مجيبا : لقد افادنى النوم قوة ونشاطا وفى وسعى الآن ان اقاتل ثورا فما لديك من الانباء يا فاى ؟

— هل يمكنك ان تذهب فى الساعة التاسعة الى بنك فاندريك . انى اعتقد انك ستجد هناك من تبحث عنه .

فوثب قلب تمبلار فرحا ولبث صامتا برهة خاطفة ثم قال :

— سأكون هناك .

— وسأوافيك فى الموعد .. فالى اللقاء .

وجلس تمبلار الى مائدة الفطور فتناول طعامه فى شهية وشرب قدحا كبيرا من القهوة ثم طلب رقما معينا هو رقم ذلك السائق الذى اركبه سيارته يوم مصرع بابيلوس .

وقال يخاطب السائق تليفونيا : اهذا انت يا باسفيان ؟ . الم تقل انك على استعداد لان تخدمنى اذا احتجت اليك ؟

فصاح السائق فى ابتهاج قائلا : انى لاجلك مستعد لان اقدم على أى شىء .. لن اتردد حتى ولو سألتنى ان اسرق لك البنك الدولى .

فابتسم تمبلار وقال :

— وسأدفع لك اجرا طيبا . فهل لك فى مقابلتى بعد ربع ساعة عند ملتقى الشارع رقم ٤٤ بشارع لكسنجتون ؟ .

وكانت السيارة فى انتظاره فى المكان المحدد فلما رآه السائق مقبلا هتف به : اسرع بالصعود قبل ان يفطن احد الى هذه الاربطة والضمادات .

وصعد تمبلار الى السيارة وهو يقول للسائق :

— اذهب بى الى بنك فاندريك . !

ولما بلغت السيارة باب المصرف قال تمبلار :

— قف بنا فى أقرب مكان من المدخل .. انى لن انزل الآن من السيارة ولكن اذا رأيتنى اغادرها فلا تتحرك من مكانك ولا توقف المحرك وكن مستعدا للفرار بمجرد رجوعى . واعلم انى سأعود ومعى شخص آخر سأذكر لك اسمه فيما بعد .

فهز السائق رأسه علامة الموافقة .

واشعل تمبلار سيجارة واخذ يدخن وهو غارق فى خواطره وافكاره .

كان باب البنك لا يزال مغلقا اذ لم يحن بعد موعد فتحه . ولكن عينيه كانت مابين لحظة واخرى تستقر على الباب فى قلق ولهفة وهو يسائل نفسه عن السر الذى سيتكشف عنه هذا الانتظار .

اتراه سيظفر حقا بالرفيق الكبير ؟ . ام سيضطر الى البر بوعده فيعود الى فرناك ويقدم اليه يديه ليضع فيهما القيد الحديدى ؟ . اتراه سيتمكن من انجاز مهمته واداء واجبه نحو العدالة بالقبض على الرفيق الكبير الذى غمر المدينة بالجثث والدماء ام سينكص على عقبيه مخذولا مقهورا ؟ .

وبدات الساعة ترسل دقاتها التسع .

ونظر تمبلار فى ساعته كانما لا يصدق ما تسمع اذناه

وتحرك حارس الباب واخذ يفتحه ليستقبل العملاء .

وتوترت اعصاب تمبلار وجرت الدماء حارة فى عروقه حين شعر باقتراب اللحظة الحاسمة . واخذ يقول فى نفسه :

ـ ليت شعرى من هو الرفيق الكبير ؟ . نعم .. من هو الرفيق الكبير ؟ . من هو ذلك الرجل الذى جمع من الدماء عشرين مليونا من الدولارات ؟ . وما الذى يدعوه الى المجىء للبنك ؟ . اتراه قد اودعه هذه الملايين ؟ .

وجعل تمبلار ينظر فى ساعته ويتفحص وجوه العشرات من الناس الذين هرعوا الى البنك عندما فتحت ابوابه .

كانت هذه اللحظة حاسمة فى تاريخ حياته .. ومجده .. وانتصاراته .. وماضيه .. كلها معلقة بما ستتكشف عنه هذه اللحظة .

وعلى حين فجاة راى صديقه فالكروس مقبلا فنسى كل شىء عند هذا ونزل من السيارة ودنا منه ووضع يده على كتفه فى رفق فدار هذا على عقبيه ولما راى تمبلار امامه اتسعت عيناه دهشة وهتف قائلا :

ـ أهذا انت يا تمبلار ..؟

كنت اتوقع ان تستيقظ مبكرا فى مثل هذه الساعة ؟ .
فابتسم تمبلار وقال :

ـ بل انى لم اكد اذوق النوم .. ! ولكن اين كنت ؟ .

ـ الم تفطن الى رسالتى ؟ . لقد تركت لك رسالة على رخامة الموقدة .

فهز تمبلار راسه وقال :

ـ كانت هناك اسباب حالت دونى والبحث عن رسالتك .. ولكن تعال معى الى سيارتى فانى لا اريد ان يرانى احد فى هذا المكان .

واخذ بذراع فالكروس وقاده الى السيارة .

وطلب اليه تمبلار الانتظار وعدم الانطلاق بالسيارة اذ لم يحن اوان ذلك بعد .

وعاد تمبلار يسأل فالكروس بقوله : ولكن اين كنت ؟ .

ـ لقد سافرت الى بتسبرج بالطيارة لعمل فجائى

استدعى ذلك وتناولت العشاء مع صديق لى ثم عدت الان بالطيارة .

ـ الم تذهب الى الفندق بعد ؟ .

ـ كلا .

ـ هذا من حسن حظك .. فان فى انتظارك هناك شرطيا يريد ان يسألك عن السبب الذى جعلك تؤوى تحت سقفك رجلا خطرا مثلى .

فبدت امارات الدهشة على وجه فالكروس وقال :

ـ يا الهى ! ولكن كيف عرفوا انك ..

ـ لا أدرى .. وكل ما هنالك ان الرفيق الكبير اتصل بهم تليفونيا وارشدهم الى مخبئى واوصاهم بى خيرا قائلا « انه ضاق بى ذرعا .. » ويلوح لى ان القنوط ادركه اذ رآنى افلت من عصابته مرة بعد مرة فاراد ان يغرى بى البوليس عله يكون أسعد حظا .. ولكن المهم الان هو اخراجك انت من هذه الورطة .. اذا سئلت عنى فقل انك لا تعرف شيئا وان من المحتمل انى حضرت الى المسكن بقصد السطو عليه .

ـ ولكن ماذا يكون من أمرك انت . «الاتنوى ان تهرب . ؟

فارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتى تمبلار وقال :

ـ بل سانتظر حتى اظفر بالمليون دولار التى وعدتنى بها .

ثم انشأ يحدثه بما وقع فى الليلة الماضية واختتم حديثه بقوله :

ـ وكان المفتش فرناك اطلق سراحى على شرط ان آتيه بالرفيق الكبير . وقد جئت الى هذا البنك لان فاى ادواردس سترشدنى الى الرفيق الكبير .

فصاح فالكروس قائلا : فاى ادواردس سترشدك الى الرفيق الكبير .. ! اذن فهى ستتخلى عنه بعد ان انتشلها من وهدة الفقر والفاقة كما ذكرت لك .

وساد الصمت برهة ثم قال فالكروس :

ـ ما اعجب النساء .. ! هذه امرأة تتسلط على المدينة باسرها وتنشر عليها الرعب والفزع ويأتمر بأمرها عشرات من الرجال يغرقون المدينة فى الحديد والنار تلبية لاشارة من يدها .. ومع ذلك تتخلى عن هذا المجد .. ؟ لماذا ؟ لانها احبت رجلا مثلك .. مغامرا جسورا . لا اسم له ولا وطن .. لا حقا ان المرأة لغز غامض .. !

وفى تلك اللحظة مر باعة الصحف ينادون ويصرخون فابتاع فالكروس احداها وما كاد ينظر فيها حتى هتف قائلا :

ـ انظر .. ها هو الشخص السادس والاخير قد قتل . !

فقد نشرت الصحف بالبنط العريض ان احد زعماء

العصابات المدعو كيرلى ايبوليتو المقيم فى مدينة بتسبرج قد قتل فى الليلة الماضية بيد شخص مجهول ·

واسترسل فالكروس قائلا :

– الان ·· انتهت مهمتك العظيمة وصار المليون دولار حقا لك لقد استدعيتك الى هذه البلاد لتنتقم لمصرع ابنى بان تقتل ستة من زعماء العصابات · وقد قتلت خمسة منهم وها هو ذا السادس قد قتل ايضا فليس ثمة ما يدعوك الى البقاء ·· ان فى بقائك خطرا على نفسك وانت تعلم ان البوليس يجد فى اثرك · فعد الى بلادك .. بادر الى الفرار .. وخذ معك المليون دولار .

فقال تمبلار معترضا : والرفيق الكبير ·؟

– ولكنك تعلم انى لم اسألك ان تقتل الرفيق الكبير ·

انه شخص لا خطر منه ·· انه ذهن جبار ليس الا ·· يدبر ويحرك ويضع الخطط .. ولكن بمفرده لا يستطيع ان يعمل شيئا .. انه كالطير اذا قص جناحاه عجز عن الطيران .. وقد قص الجناحان بمصرع زعماء العصابة الستة فوجود الرفيق الكبير وموته سيان · انك انت الذى ضممته الى القائمة على غير رادى فلن اطالبك بقتله سآتيك الان بالمليون دولار فخذها واهرب والا وقعت فى ايدى البوليس ·

ونزل فالكروس من السيارة ومشى متجها الى درج البنك ·

واخذ تمبلار يتابعه بعينيه وقد ارتسمت فيهما نظرة غريبة .. نظرة تدل على ان فكرة غريبة قد وثبت الى ذهنه ·

وفى هذه اللحظة وقفت سيارة عند الافريز وخرجت منها فاى ادواردس ·



لم يكد تمبلار يراها حتى فتح باب سيارته وقفز الى الارض ·

واذ ذاك رأى ان الفتاة لم تكن تنظر اليه وانما كانت مرسلة بصرها الى فالكروس ·

ولم يكن هناك مايدعوها الى الكلام ·· ولم يكن هناك ما يدعوه الى توجيه الاسئلة . كانت هذه النظرة افصح من كل سؤال وجواب ·!

فالكروس هو الرفيق الكبير ·!

ولم تكن الفتاة قد تطلعت بعد الى وجود تمبلار ·· كانت لا تزال تنظر الى فالكروس · هذه النظرة الناطقة · الفصيحة · البليغة · هذه النظرة التى جمعت كل ما يعنيه تمبلار ·

وارتفع الستار وانكشف الماضى كله •

وتدفقت الى ذهن تمبلار الحقائق القديمة • والاسماء والكلمات •• والحوادث • وأخذت تدوى فى اذنيه • وتروح وتجيء حتى انتظمت سلسلة متسقة متصلة الحلقات ليس لها الا معنى واحد هو ان فالكروس هو الرفيق الكبير •• !

الرفيق الكبير هو الذى وشى به الى البوليس وانباهم بمخبئه •• ومن يعرف هذا المخبأ غير فالكروس ؟

لقد ذكرت له فاى ادواردس ان كيرى ايبولينو يقطن مدينة بتسبرج •• وها هو ذا فالكروس يذهب الى بتسبرج بالطيارة ويعود منها •• وها هى الصحف تعلن الى الناس مصرع ايبولينو !

اذن فقد ذهب فالكروس الى بتسبرج ليقتل ايبولينو لانه كان الوحيد الذى لا يزال حيا بين زعماء العصابة فاذا مات آلت العشرون مليونا كلها الى فالكروس وحده •

وهذا اذن هو السر فى ان الرفيق الكبير اوصى فاى بان تنقذ تمبلار وتحميه كلما وقع بين أيدى العصابة معللا ذلك بانه سيتمكن فى احد الايام من ضمه اليه . اما التعليل الحقيقى فهو انه أراد أن يبقى على تمبلار حتى يتم له الاجهاز على شركائه فى الميراث واحدا بعد الاخر •

والان وقد تم هذا الاجهاز ولم يبق الا ايبولينو فقد وشى به الى البوليس وتولى هو بنفسه التخلص من غريمه ايبولينو ••

وحكاية الابن الذى اختطفته العصابة وقتلته •• ورغبة فالكروس فى الانتقام لولده .. انها اذن حكاية ملفقة لا اصل لها ابتكرها فالكروس ليتخذ منها حجة فى الاستعانة بتمبلار •

وما فكر فالكروس فى التخلص من تمبلار والوشاية به عند البوليس لولا ان اصر هذا على اكتشاف سر الرفيق الكبير والقضاء عليه مع من قضى عليهم من زعماء العصابة •

وهكذا انكشف الحجاب وتدفقت الحقائق الدامغة الى ذهن تمبلار •

ومنذ لحظات وثبت هذه الفكرة الى دماغ تمبلار ولكنه طردها ونفاها ولم يشأ أن يصدق أن فالكروس هو بعينه الرفيق الكبير •

اما الان •• حين رأى تلك النظرة التى ارسلتها فاى ادواردس الى فالكروس فلم يعد هناك مجال للشك •

وكانت فاى لا تزال مسمرة فى مكانها وهى تنظر الى فالكروس الذى كان قد شرع يرتقى درج البنك •

وفجأة التفت فالكروس خلفه فرأى الفتاة لاول مرة •• ورأى النظرة التى فى عينيها .. ثم رأى تمبلار ورأى

النظرة التى فى عينيه وعرف فى الحال ان امره قد انكشف .

وتبدت من عينيه امارات الرقة وطيبة القلب وارسلتا وميضا مخيفا كالشرر وانقلبت سحنته وتقلصت عضلات وجهه . حتى لقد خيل الى تمبلار انه يرى هرة وديعة تنقلب نمرا مفترسا .

وعلى حين بغتة امتدت يد فالكروس الى جيبه الخلفى .

وكذلك فعل تمبلار .. ولكنه ما لبث ان ادرك غلطته .

كانت يده اليمنى هى التى تحركت بحكم الغريزة . ولكنه نسى الجرح الذى فى ذراعه والذى يجعل استعمال هذه اليد متعذرا .. فلما شعر بالالم يمزق اوصاله رد يده عن الحركة ودفع يده اليسرى الى جيبه .

وفى هذه اللحظة كان فالكروس قد اخرج مسدسه واطلق منه طلقا ناريا مر الى جوار اذن تمبلار .

ودوى الطلق الثانى ولكن تمبلار لم ير اتجاهه ولم يسمع منه الا دويه .

واخرج القديس مسدسه واطلق رصاصة اصابت فالكروس فافلتت اصابعه المسدس وترنح وسقط على الارض .

وجرى اليه تمبلار فاخذ بتلابيبه وجره الى السيارة .

واذ ذاك راى فاى ادواردس .

كانت واقفة الى جوار السيارة مستندة اليها باحدى يديها اما يدها الاخرى فكانت موضوعة فوق صدرها وقد انبثقت الدماء من بين فرجات اصابعها .

وعرف تمبلار على الفور اين استقرت رصاصة فالكروس الثانية .

ولم يشعر بالحزن فحسب وانما خيل اليه انه يختنق وان انفاسه احتبست وان قلبه كف عن الخفقان .

وفى اللحظة التالية فتح باب السيارة والقى بفالكروس على المقعد كما تلقى القرارة . ثم رجع الى فاى فاحتواها بين ذراعيه فى رفق وحملها الى السيارة .

وكانت خفيفة كانها طفلة ناعسة .. ولم يشعر حتى بالالم الذى كان يمزق كتفه .

ووضعها على المقعد فى رفق وحذر كانها تمثال من الزجاج يخشى عليه ان ينكسر .

وانطلقت السيارة مسرعة دون ان يجرؤ احد من الجمهور المحتشد على التعرض لها .

ولكن رجال البوليس انطلقوا فى اثرها بالموتوسيكلات والسيارات وباستيان ينهب الارض ويطوى الطرقات كانه فى سباق الى الموت لا يعبا باشارات المرور ولا يقيم وزنا لاوامر الكونستبلات .. يدور وينعطف ويلتوى ويمرق حتى نجح اخيرا فى تضليل مطارديه والافلات منهم .

وشعر تمبلار بلمسة خفيفة على ذراعه فنظر الى الفتاة ·

كانت قد نزعت قبعتها فتهدل شعرها على جبينها فى خصلات من الذهب · وكانت فى عينيها الجميلتين ظلال خفيفة ·· ولكن وجهها لبث هادئا ساكنا والشباب المتفجر منطبع على صفحته كانما لم يكن يفترسها الموت ·! اما انفراج شفتيها فيمكن أن يوصف بأنه شبح ابتسامة

وتكلمت قائلة : لا تحزن ·! لن ارافقك الى النهاية ·!

فقال تمبلار فى خشونة : هراء ·! اصابتك تافهة ·! وستشفين ·!

ولكنه كان يعلم انه كاذب ·!

هل كانت هى ايضا تعرف ذلك ..

وهزت راسها فتراقصت خصلاتها الذهبية وقالت :

ـ ليس هناك ما يؤلم ·! انى لا اتعذب ·!

وكانت مستندة الى صدره فى استسلام كانها طفلة متعبة ·

وارسلت من صدرها تنهيدة خفيفة وقالت :

ـ ما كنت اظن انى سأموت الان ·!

وعقد الحزن لسانه فلم يتكلم ·

ثم قالت فى هدوء : قبلنى ثانية يا تمبلار ..

فقبلها ·

وجعلت الفتاة تتأمل وجهه كانما تريد ان لا تنسى خطا واحدا من خطوط ملامحه ·

وكانت تبتسم · وكانت فى عينيها ومضات ·

وراها تستجمع انفاسها لتتكلم ثم قالت فى صوت خافت : وداعا ·

ثم اغمضت عينيها وهى لا تزال تنظر اليه ·

ووضع تمبلار راسها فى رفق على وسادة السيارة · ولم يحول بصره عنها ولكنه لم يكن يرى شيئا لان العبرات حجبت عنه وجهها · وجه هذه الفتاة التى عاشت لاجله ·· وماتت لاجله

وظل تمبلار ساكنا جامدا كانما ادركه الموت هو ايضا ·

وخيل اليه انه يسمع الى جواره حركة وصوتا ·

وكان هذا هو فالكروس وقد بدأ يتحرك ويتكلم ·

وقال فالكروس فى صوت متقطع ينم عن الالم والرعب :

ـ انى لا اريد أن اموت ··! انقذنى ·· انقذنى · خذ كل اموالى واعدنى الى الحياة ··! اذهب بى الى طبيب ·· ان لدى عشرين مليونا فخذها كلها ·· لا ابغى الا الحياة · انقذنى

فصاح تمبلار فى صوت غاضب : أصمت ·!

فعاد فالكروس يقول متوسلا :

ـ خذ ملاييني كلها . لست أريد الا أن أعيش . !

فضربه تمبلار بيده على فكه وهو يقول في وحشية :

ـ ويحك أيها المجنون .. ! أتظن أن ملايينك يمكن أن تعيد الى ما فقدت .. !

فانكمش المحتضر خوفا ولاذ بالصمت . فقد كان صوت تمبلار أشد رهبة من الموت

وحين وقفت السيارة أمام بيت المفتش فرناك نزل منها تمبلار وتقدم الى البيت فالتقى فرناك عند الباب .

وأخرج تمبلار المسدس وقدمه الى فرناك قائلا :

ـ لقد بررت بوعدي .. وهاك مسدسك .

فدس المفتش المسدس في جيبه وقال : ألم تعثر على الرفيق الكبير !

ـ انه في السيارة .

فأشرق وجه فرناك وهمس قائلا :

ـ شكرا لك .

وأسرع الى السيارة وفتح بابها فتدحرجت جثة فالكروس عند قدميه .. وهنا رأى فرناك شيئا آخر .. رأى جثة فتاة على المقعد .. فقطب جبينه وجمد في مكانه . ثم : من هذه ..؟ ولكنه لم يسمع جوابا لأن تمبلار كان قد اختفى .!

الخاتمة

كانت نيويورك بأسرها تتحدث عن سيمون تمبلار .. أما في انجلترا فكان المفتش تيل جالسا بين نفر من مساعديه وهو يقول :

ـ لقد رجع الينا تمبلار .. !

ثم يتنهد ويقول :

ـ نعم .. لقد رجع ..

فيتنهد معه جميع مساعديه ويقولون :

ـ نعم لقد رجع .. !

فقد كانوا يعرفون معنى هذه العودة .. !

أما تمبلار نفسه فكان جالسا في حديقة داره وسيجارته بين شفتيه وباتريشيا هولم الى جواره وهي تقول :

ـ ولكنك لم تحدثني بشيء مما وقع لك في نيويورك ..؟

ولم يسمع تمبلار سؤالها .. لأنه كان في هذه اللحظة يعيش في مكان يبعد عن لندن ثلاثة آلاف من الأميال . ولم يكن يسمع الا صوتا واحدا . صوتا يعلو على ضجة المركبات ودوي السيارات . وكان الصوت موسيقيا عذبا يردد في همسات لينة : وداعا ..! وداعا ..!

تمت

رقم الإيداع بدار الكتب
١٧٢٤ / ١٩٧١

مطابع الأهرام التجارية

www.liilas.com

